

التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

34

السنة الثامنة عشرة
العدد الرابع والثلاثون

جمادى الآخرة 1429 - حزيران (يونيو) 2008 م

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الرابع والثلاثون

حزيران (يونيو) 2008

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: acatap@net.sy،

صفحة الانترنت: www.acatap.org

ع/2008/6/15

السنة الأولى: 1991 . دمشق

في هذا العدد

الصفحة

* افتتاحية العدد..... 7

* بحوث في اللغة والتعريب

• اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب 11
أ.د. محمود السيد

• إشكالية التعريب في تعليم العلوم الطبية 31
أ.د. مروان جبر الوزه و أ.د. فهد عبد العزيز المهنا

• وسائط تعزيز التعريب والتخبط اللغوي العربي 49
أ. عمر هزايمة

* بحوث في الترجمة

• الترجمة جسر تواصل بين الشعوب والحضارات 73
أ. شحادة خوري

• الترجمة في ظل رؤية العالم وثقافة النص 89
د. عبد القادر سلامي

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

- إشكالية المعنى في النص المترجم 103
د. عبد العالي بشير

*** بحوث التنمية الثقافية**

- ثقافة التنمية الإنسانية..... 121
أ.د. سمير إبراهيم حسن

*** أعلام خدموا العربية**

- أحمد مستجير مصطفى..... 135
أ. د. أبو بكر خالد سعد الله

*** من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2008 149**

*** قواعد النشر في المجلة 153**

*** إصدارات المركز من الكتب 157**

الافتتاحية

أ.د. عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب
والترجمة والتأليف والنشر

تُعد اللغة العربية من أهم مقومات الهوية القومية، فقد نقلت إلينا عبر الزمن تراث ومفاهيم وقيم الأجيال العربية المتعاقبة. فكانت صورة ناطقة بما كانوا عليه من صفات وأحوال، وبما أبدعوا من روائع المنجزات في ميادين المعرفة والعلم، فهي تمثل ذاكرة الأمة. ولقد واكبت اللغة العربية مسيرة الأمة العربية فكانت تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، فهي التي ترافق الأحياء الذين يتكلمونها ويكتبونها ويستعملونها في الدراسة والتدريس.

لقد أوصت اليونسكو باستعمال اللغة الأم في التعليم، بعد أن أيقن خبراؤها أن الطالب الذي يتعلم علومه بلغة غير لغته الأم سوف يُصاغ فكره وثقافته من خلال اللغة الغريبة التي يتعلم بها، ويوم تكون لغة التعليم غير لغة الثقافة تُصاب الأمة بفُصام فكري.

وكذلك تعمل الألكسو بفضل مراكزها الخارجية، على الإسهام في جعل اللغة العربية لغة للعلم والتعليم في جميع مؤسسات التعليم في الوطن العربي، وذلك بإصدار المصطلح العلمي والكتاب العلمي المترجم والمعرب. وهذا هو صميم عمل المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر الذي تُعد إصداراته باللغة العربية ثروة كبيرة في ذخيرة المكتبة العربية والجامعية خاصة.

إن إلقاء نظرة موضوعية على مسألة لغة التعليم العالي الجامعي في العالم العربي، دون مغالاة في الإيجابيات والسلبيات، والأخذ بالحسبان للمفاعيل القصيرة والبعيدة المدى التي تؤثر

التعريب العدد الرابع والثلاثون . جُمادى الآخرة / حزيران 2008

في نمو وتطور المجتمع والدولة في عصر العولمة، يُبين أن هذا التعليم يجب أن يكون باللغة الأم، اللغة العربية، وذلك للفوائد العديدة التي يجنيها المُعلم والمتعلم والمجتمع واللغة نفسها.

ومن هذا المنطلق فإن إصدارات المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وعددها يفوق المئة مرجع، تسد ثغرة في المراجع العلمية المُعرّبة في مكتبات مؤسسات التعليم في الوطن العربي. إلا أن الاهتمام باللغة العربية في التعليم العالي لا يعني أبداً إهمال اللغات الأجنبية الحية الأخرى، بل على العكس فإن النفاذ إلى مصادر المعرفة واسترجاعها والتواصل مع من يمتلكون ناصيتها يتطلب معرفة إحدى اللغات الأجنبية السائدة. ومن هنا فإن امتلاك لغة أجنبية إلى جانب اللغة الأم، يُمكن أفراد أي مجتمع من الاتصال والتواصل مع العالم الخارجي ومن ثمّ يمكن جني المعرفة من أماكن وجودها.

يتضمن هذا العدد الرابع والثلاثون من مجلّتنا، مجلة التعريب، وهي إحدى وسائل المعرفة العلمية باللغة العربية، موضوعات تدرج في المحاور التقليدية للمجلة، فمنها ما يتعلق باللغة العربية وتحديات العصر في التعريب، وإشكالية التعريب في تعليم العلوم الطبية، ومواضيع أخرى في الترجمة، وإشكالية المعنى في النص المترجم.

إننا في المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على استعداد تام للوفاء باحتياجات الجامعات ومؤسسات التعليم في الوطن العربي من الكتب والمراجع العلمية المعربة، لإثراء وإغناء المكتبة العربية بكل ما يستجد من علوم جديدة بلغة عربية سهلة وميسرة، لتكون مرجعاً لأعضاء الهيئات التدريسية والطلاب في جامعات الوطن العربي.

والله ولي التوفيق

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

بحوث ودراسات في التعريب

التحريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب

أ.د. محمود السيد

أستاذ في جامعة دمشق

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

غني عن البيان أن ثمة تحديات مختلفة تواجهها أمتنا في هذا العصر، عصر العولمة وهيمنة الأقوياء على الضعفاء واستعمال حق القوة، لا قوة الحق، في معالجة قضايا الشعوب، وعصر العلم والتقانة "التكنولوجيا" والمعلوماتية، وعصر الاتصالات السريعة والتفجر المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف، وعصر الاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية، وعصر القطبية الثقافية الواحدة ذات اللغة الواحدة، ومحاربة التنوع الثقافي والتعدد اللغوي، وعصر التغيرات السريعة والتبدلات المفاجئة... إلخ

وفي ظلال هذه السمات التي يتسم بها عصرنا تبرز مشكلة التعريب في أمتنا العربية على أنها إحدى المشكلات التي تتناول روح الأمة وهويتها، وقلبها النابض متمثلاً في لغتها العربية.

ونحاول في هذا البحث الموجز أن نقف على تحديد لهذه المشكلة وأسبابها، وتبيان لقضاياها، ورصد للمواقف تجاهها، وتوضيح لبعض الإجراءات العاجلة، بغية تجاوز العقبات الحائلة دون تحقيق الأهداف المرجوة.

أولاً تحديد المشكلة

قبل أن نحدد مشكلتنا لا بد أن نحدد المصطلح، فما المقصود بمصطلح "التعريب"؟

إن المقصود بهذا المصطلح هو سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي في جميع مجالات الحياة، تعليمياً وإعلامياً وتواصلأً، أخذأً وعطاءً تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة، وقدرة ذاتية على ممارستها، بما يوحد الرؤى والمشاعر العربية، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعل التعريب عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف الأساسي المتمثل في التجزئة، إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري، ويعينها على كسر طوق التخلف، والتحرر من أنواع التبعيات الاقتصادية والتقنية "التكنولوجية" والثقافية، كما يعينها على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، والإسهام في الحضارة البشرية، متجاوزة عقبات التخلف بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية، واستتبات العلم عربياً، وتوحيد استراتيجياتها تنموياً وصنع ثقافة عربية. والسبيل إلى ذلك كله هو الإنسان الذي تلقى علوم عصره بلغته يتعلم ويعلم ويبحث بها⁽¹⁾.

وإذا ألقينا نظرة على واقع لغتنا العربية فإننا نلاحظ أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، إلا ان الممارسات تدل على أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع، فلقد حددت مؤتمرات التعريب وندواته التي عقدت في وطننا العربي في النصف الثاني من القرن الماضي أن تكون سنة 2000 سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد العربية، وأكد هذا التوجه مؤتمر وزراء الصحة العرب ومؤتمر وزراء التعليم العالي العرب في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وها نحن أولاء في سنة 2008 مانزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات الرسمية والخاصة تدرس باللغة الأجنبية، وانتقل ذلك إلى كليات العلوم الإنسانية، وما نزال نسمع صيحات تتطلق في بعض المؤتمرات التي عقدت في مطلع هذا العام في بعض عواصم الأمة تسأل : هل العربية قادرة على استيعاب معطيات العصر؟ وهل يتمكن الطالب الذي يدرس بلغته الأم من مواكبة التفجر المعرفي والتقدم العلمي؟ وما نزال نرى أن ثمة جنوحاً في مؤسساتنا التعليمية حتى في رياض الأطفال نحو استعمال اللغات الأجنبية على حساب لغتنا الأم.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

وفي دراسة تحليلية قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في النصف الثاني من التسعينيات شملت خمسة عشر قطراً عربياً، للوقوف على استعمال لغة التعليم في العملية التعليمية التعلمية تبين ما يلي:

1. مرحلة التعليم الأساسي وتشمل المرحلتين الابتدائية والإعدادية: ثمة مدارس خاصة وتجريبية تعلم فيها المواد العلمية والاجتماعية باللغة الأجنبية في قطرین.
2. مرحلة التعليم الثانوي: ثمة مدارس رسمية وخاصة وتجريبية تعلم فيها المواد بلغة أجنبية في ثلاثة أقطار.
3. مرحلة التعليم العالي: تدرس العلوم الأساسية بلغة أجنبية كلياً في ست دول عربية وجزئياً في خمس دول، والعلوم الطبيعية تدرس كلياً بلغة أجنبية في سبع دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الهندسية تدرس بلغة أجنبية كلياً في عشر دول عربية، وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرس بلغة أجنبية جزئياً في سبع دول⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى نرى أن اللغة العربية الفصيحة لا تحاصر في مؤسسات التعليم العالي فحسب، وإنما تحاصر أيضاً في مواقف الحياة الأخرى، فنرى نفرأ من أبناء الأمة يعتقد أن في استعمال اللغة الأجنبية أمانة على التقدم والعلم والأناقة، في الوقت الذي يرى فيه أن استعمال اللسان العربي دلالة على التخلف، وهامي ذي الأم في الطبقات الحريية تخاطب أبناءها باللسان الأجنبي، وهامو ذا الموظف يخاطب زبونه باللسان الأجنبي ليظهر نفوذه، وهامو ذا المتقف يطعم كلامه بالكلمات الأجنبية دلالة على ثقافته العصرية، وهامي ذي الشركات على الأرض العربية تعلن حاجتها إلى موظفين يتقنون اللغة الأجنبية، وهامي ذي المراسلات بين المصارف تستعمل اللغة الأجنبية، وهامي ذي الإعلانات في الطرقات وفي الساحات العامة وعلى واجهات المحال التجارية تستعمل الأجنبية وتحتج وتمانع إذا ما طلب إليها استبدال العربية بالأجنبية.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن العاملين والعاملات من الجنسيات الأجنبية على الأرض العربية ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا العربية لأنهم يقضون حاجاتهم وينفذون متطلباتهم باستعمال

الأجنبية مع أبناء العربية، الذين نزلوا عن لغتهم القومية ليتحدثوا مع هؤلاء بلسانهم أو بلسان أجنبي آخر.

كما نلاحظ أن المؤتمرات العلمية التي تُعقد في منطقتنا العربية، تُستعمل اللغة الأجنبية في بعضها، مع أنها تعالج موضوعات عربية. ولم نذهب بعيداً، فهاهم أولاء ممثلونا في المحافل الدولية يستعملون الأجنبية في مداخلاتهم ومناقشاتهم وإلقاء كلماتهم، مع أن لغتنا العربية معتمدة بين اللغات العالمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ونسأل : كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا، ونحن لم نحترم أنفسنا وهويتنا ولغتنا المعبرة عن ذاتيتنا الثقافية وأصالة أمتنا؟

ولم يكن هذا الانحسار للعربية لمصلحة الأجنبية مقتصرأ على استعمال هذه الأخيرة فقط، وإنما كان ثمة انحسار آخر لها في أجهزة الإعلام التي تستعمل العامية في الأعم الأغلب في برامجها، وفي المسرحيات التي تنفذ بالعامية، وفي المسلسلات التلفزية التي تعرض بالعامية، وفي شرح الدروس في العملية التعليمية التعلمية بالعامية في أغلب الأحيان.

وهذه الممارسات كلها تحدث في جو من الإهمال، وترك الأمور تتطور كما كتب لها، فليس هناك قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، وهذا الإهمال يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والامية، ذلك لأن كل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد يتمثل في سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي.

ولما كانت مشكلة التعريب ما تزال قائمة حتى الآن، فهذا يدل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي، وثمة ظروف تحول دون اتخاذ القرارات لتحقيق الإصلاحات اللازمة، ومنها انعدام الحكم القومي وانحسار المد القومي، ولن يحدث أي إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على الصعيد القومي، "ولن تجرؤ السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية على اعتماد الإصلاح لأنها تعتمد الازدواجية السياسية، فهي تحافظ في دساتيرها على اعتماد العربية الفصيحة، لتكسب قدراً من الشرعية أمام جماهيرها، وتفصح المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث أمام الآخرين، وتترك الحرية للهجات العامية لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي

على حد تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي⁽³⁾.

وهكذا تتجلى مشكلة التعريب في "عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية واعتمادها في التدريس الجامعي، وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية والأمية وعدم استنبات العلم عربياً، وتَسبُّب لغوي وقومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري⁽⁴⁾.

ويتبدى لنا أن موضوع التعريب موضوع قديم جديد، طرح في أمتنا خلال قرن كامل، وما يزال مطروحاً حتى الساعة، في الوقت الذي حسمته أمم أخرى عندما اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها، ولم تكن للغاتها عراقلة لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية. فها هي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلندا واليونان إلخ، تدرس بلغاتها الوطنية، وهاهي ذي إسرائيل تحيي لغتها العبرية، وهي لغة ميتة منذ ألفي سنة، فإذا هي تعيدها إلى الحياة في جميع مجالاتها، وتبقى العربية ذات الوجه الحضاري ولغة القرآن الكريم، مستبعدة ومعزولة عن الاستعمال في أغلب جامعات وطننا العربي ومؤسساتها العلمية، وهذا ما يدعونا إلى السؤال: لِمَ هذا التردد والإهمال والتسويق؟ أما آن لهذا الموضوع أن يحسم؟ وأين تكمن المشكلة؟ وما أسبابها؟

ثانياً: أسباب المشكلة

تتجلى هذه الأسباب في:

1. **التلكؤ في إصدار القرار السياسي:** إن التسويق لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من التجربة السورية في التعريب مثلاً، فقد ربطت سورية بين الإيمان بمكانة لغتها الأم وقدرتها على مواكبة روح العصر واستيعاب معطياته وتقاناته، وبين تنفيذ هذا الإيمان ممارسة وسلوكاً وأداء في الكليات الجامعية، وها هي ذي التجربة السورية في التعريب تنطق بكل حجة ساطعة على قدرة لغتنا العربية على مواكبة تقانة العصر واستيعاب معطياته، على النحو الذي كانت عليه أمتنا إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية، إذ تسبغ عليها طابعها العربي،

ومن ثم أبدعت وابتكرت وأعطت خلاصة تجاربها إلى العالم.

ولو غدا التعريب قضية سياسية في الدول العربية الأخرى، يعتمد عليها أصحاب القرار السياسي انسجاماً مع تطلعات الجماهير الشعبية كما فعلت سورية لما بقي التعريب متعزلاً، على أن يتحول اتخاذ القرار إلى واقع ملموس لا دعوة نظرية وحماسة في الخطب السياسية. وإنها لمفارقة عجيبة أن تبدأ سورية حركة التعريب منذ مطلع القرن الماضي، وأنة تشق مسيرة التعريب طريقها عبر قرن كامل بكل نجاح واقتدار، في الوقت الذي نسمع فيه حالياً بعد مرور قرن أصواتاً في بعض جامعات وطننا العربي، تشكك في قدرة لغتنا على استيعاب علوم العصر وتقنياته، وتدعو إلى استعمال اللغات الأجنبية مكان العربية، في ميادين الهندسة والطب والعلوم البحتة والتطبيقية، متجاهلة أن الأمم صغیرها وكبیرها لا تتخلى عن هويتها وعنوان شخصيتها ورمز كيانها متمثلاً في لغتها القومية – اللغة الأم التي أثبتت البحوث والدراسات أن استيعاب الدارسين بها يفوق استيعابهم في حال تعلمهم باللغات الأخرى، وهذا ما أكدته التجارب العلمية على لغتنا العربية في جامعة اليرموك والكويت وصفاقس في الجمهورية التونسية.

2. غياب التخطيط اللغوي: ومع غياب السياسة اللغوية يغيب التخطيط اللغوي الذي يوضع في ضوء تلك السياسات والاستراتيجيات، ولكم كنا نتمنى على منظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم لو وضعت خطة لغوية على غرار الخطة الشاملة للثقافة العربية، وعلى غرار استراتيجية تطوير التربية العربية، واستراتيجية تعليم الكبار ومحو الأمية، واستراتيجية العلوم والتقانة، أو أن يقوم بوضعها اتحاد المجامع اللغوية العربية.

وكما كانت سورية سباقة في موضوع التعريب، فقد كانت سباقة أيضاً في وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية بناء على القرار الجمهوري رقم 4 تاريخ 2007/1/26م وكان لي شرف رئاسة اللجنة التي قامت بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين.

3. التأخر في وضع المصطلحات: ثمة تدفق كبير في مصطلحات عالم التقانة والمعلوماتية، وتقجّر معرفي متسارع لم تتمكن منظماتنا ومجامعنا اللغوية واتحاداتنا المتخصصة من مواكبته، وهذا الأمر أدى إلى شيوع المصطلح الأجنبي، حتى إذا ما وضع البديل العربي كان

ثمة عزوف عنه، واستمرار في استعمال المصطلح الأجنبي. وهذا يلقي بالمسؤولية على عاتق الوزارات المعنية في الدول العربية، وعلى الشركات والجهات المستوردة التي تسمح بدخول السلع والأجهزة والبرمجيات ونحوها قبل عرض الموضوع على مجامع اللغة، على نحو ما تقوم به بعض الدول التي تحترم لغاتها وتحافظ على نقائها كفرنسا. كما يلقي بالمسؤولية أيضاً على عاتق مجامعنا اللغوية التي تتأخر في وضع المصطلحات العربية البديلة.

ولا بد من الإشارة إلى أن العبرة ليست في وضع المصطلح وتوليده ووضعه في معاجم متخصصة، وإنما العبرة في الاستعمال في مناحي الحياة ومراحل التعليم ومراكز البحوث والجامعات ليستعمله الناس جميعاً ويغدو مألوفاً في الاستعمال.

4. تشتت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في هذا الميدان: من يلق نظرة على واقع خريطة التعريب في الوطن العربي يجد أن ثمة جهوداً بذلت، " بعضها فردي، وبعضها جماعي، بعضها قامت به مؤسسات خاصة، وبعضها الآخر قامت به مؤسسات قومية، منها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات. ومن هذه الجهود ما بُذل في الوطن العربي، وثمة جهود قامت بها هيئات أجنبية. وإن تنوع هذه الجهود يرسم أمام المرء خريطة زائخة الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة، تمثل تكامل الجهود وتقاطعها وتواصلها وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرنا وتلكؤها واندفاعها حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها⁽⁵⁾.

تلك هي صورة لخريطة التعريب كما رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل في الثمانينيات من القرن الماضي، وهي الصورة نفسها ونحن في العقد الأول من الألفية الثالثة، لا بل زادت الصورة قتامة: جهود مشتتة، وغياب في التنسيق. ولقد قاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة، حتى غدا طبيعياً أن يجهل بلد ما كان يجري في البلد الآخر، وألاً تعرف جامعة ما يكون قد نفذ أو ترجم في جامعة أخرى.

5. عدم الجدية في متابعة التنفيذ: مأكثر الندوات والمؤتمرات التي عقدت بخصوص التعريب!

وما أكثر التوصيات التي خلصت إليها! وما أكثر التوصيات التي تكررت بين مؤتمر وآخر وندوة وأخرى! وما أقل ما نفذ من تلك التوصيات! وليس ثمة من يتابع التنفيذ على أرض الواقع فلا لجان للمتابعة ولا مسؤول يتابع، ولا إلزام للجهات المعنية، فتوصيات المجمع اللغوية وقراراتها غير ملزمة ويا للأسف!

6. **فتور الانتماء:** إن الإحساس العالي بالانتماء القومي في ظلال العولمة يجيء في مقدمة منظومة القيم، وإذا فتر هذا الانتماء وضعف يتحلل الإنسان من قيمه ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته إلى جانب تخليه عن قوميته. والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحقت تأثيراتها ومضاعفاتها، والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها⁽⁶⁾.

ولكم يحز في النفس ألماً أن يهجر نفر من أبناء الأمة لغتهم العربية ويتحدثوا باللغة الأجنبية في المؤتمرات الدولية، مع أن لغتهم العربية معتمدة في هذه المؤتمرات! أليس في عملهم هذا استهانة بلغتهم وأمتهم وبهويتهم القومية؟

إن عمق الانتماء إلى الأمة يذلل الصعاب، ذلك أن التريث في حسم موضوع كياني لأمتنا، يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها وعقيدتها، أمرٌ يستلزم الإيمان والإحساس العالي بالمسؤولية والإقدام، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته: "فلننتظر حتى تكون لدينا أسلحة فأجابهم": تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، والسلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب".

ثالثاً: التعريب قضية

إن التعريب قضية متعددة الوجوه والمستويات والمجالات، فهو قضية قومية، وهو قضية دينية، وهو قضية مجتمعية، وهو قضية تربوية، وهو قضية أمن ثقافي، وهو قضية إبداع وابتكار، وفيما يأتي وقفة على كل قضية من هذه القضايا الست⁽⁷⁾.

1. التعريب قضية قومية:

من الملاحظ أن الأمم التي وحدت كلماتها وبنّت قوميتها، وأظهرت كيانها وشخصيتها، لجأت إلى اللغة وسيلة لذلك التوحيد وهذا البناء، فالوحدة الألمانية ومن بعدها الوحدة الإيطالية قامت على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت القومية البولونية والبلغارية واليونانية... إلخ.

وتحتل اللغة الأهمية الكبرى في نشوء الأمم، فهي أداة التفاعل بين أفراد المجتمع والرابطة التي تصهر أبنائه في بوتقة المحبة واللقاء والتفاهم، وهي مستودع تراث الأمة. ولقد عدّها "فيخته" أساس القومية إذ يقول: إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية."

ومن هنا ندرك لم اتخذ المستعمرون من بين أساليب محاربة الأمة العربية الإسلامية القضاء على اللغة العربية الفصيحة، لأنها الرابطة الذي يوحد بين أبناء الأمة العربية. ولما أخفقوا في فرض لغاتهم في أثناء احتلالهم للوطن العربي، راحوا يصفون لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العربية للحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يتخلوا عن اللغة الفصيحة، ويعتمدوا العامية ويكتبوا بالأحرف اللاتينية، وذلك لأن العامية عامل تقريب بين أبناء الأمة في حين أن الفصيحة عامل توحيد. وقد حمل نفر من المستشرقين لواء هذه الدعوة، كما حملها نفر من أبناء العربية في مصر ولبنان، وقد منيت دعوتهم بالإخفاق.

وفي ظلال العولمة في وقتنا الحالي ما تزال المحاولات مستمرة في محاربة الفصيحة وتهميشها واستبعادها، ذلك لأن التعريب قضية قومية تجمع بين أبناء الأمة، وتوحد الفكر بينهم، وأن في عدم التعريب ذوباناً للهوية، وقطعاً للعلاقة الأفقية بين العرب، وقطعاً للصلة العمودية مع تراث الأمة، وما خلفه لنا الآباء والأجداد في ميادين المعرفة.

2. التعريب قضية دينية:

ثمة ارتباط بين اللغة العربية والقرآن الكريم، إذ كان القرآن سياجاً للغتنا، حفظها من الضياع وصانها من الاضمحلال والزوال على الرغم من الكوارث والأرزاء التي اجتاحت الأمة ومن الهجمات التي ابتليت بها عبر العصور، وما الفضل في صمود اللغة أمام الهجمات الشرسة التي تعرضت لها الأمة والتحديات العنيفة التي واجهتها إلا للقرآن الكريم.

وكان ممن تخوفوا من صمود اللغة العربية وقوتها لارتباطها بالقرآن الكريم "غلاستون" رئيس وزراء بريطانيا الذي قال منذ أكثر من قرن: "ما دام هذا القرآن بيد العرب فلن يتمكنوا منهم" كما أشار إلى ذلك المستشرق الألماني "بيكر" عندما قال: "لا سبيل إلى الوصول إلى الشرق ما دام هذا القرآن موجوداً".

3. التعريب قضية تربوية:

إن من يدرس بلغته الأم يتمكن من الفهم والاستيعاب أكثر ممن يدرس بلغة غير لغته، وهذا ما أكدته التجارب التربوية، إذ إن التدريس باللغة العربية يسهل عملية التحصيل العلمي مشاركة وتفاعلاً وتمثلاً وفهماً ومواظبةً، فقد أدى عدم استيعاب الطلبة للمصطلحات والمفاهيم العلمية المقدمة إليهم باللغة الأجنبية، إلى تسربهم من الكليات العلمية إلى كليات أخرى في جامعة الكويت، بسبب معاناتهم من مشكلات لغوية لا تمكنهم من فهم المحاضرات التي تقدم إليهم باللغة الإنجليزية، إذ كانت لديهم مشكلات في الكتابة والتعبير الشفهي، ويفتقرون إلى المصطلحات العلمية والقدرة على التلخيص لأنهم يفكرون بلغتهم الأم⁽⁸⁾.

ومن المتعارف أن ثمة رابطة لا تتفصم بين الفكر واللغة، ومادام الناشئ العربي يحيا في بيئة عربية فإنه يفكر آلياً بهذه اللغة. وإنه لمن الصعوبة أن يفكر بلغته ويتحدث بغيرها، إذ إنه يضيع قسماً من جهده في النقل والترجمة بين فكره ولسانه، عندما يفكر بلغته، ثم يترجم فكره إلى لغة أخرى يريد التحدث بها فلا يجيء تعبيره سليماً عما فكر به وأراد التعبير عنه⁽⁹⁾.

ومن هنا كانت الدعوة إلى استعمال اللغة الأم في التدريس الجامعي أمراً يتفق وطبيعة الحياة، ولقد أبدى مدير منظمة الصحة العالمية استغرابه من تدريس الطب في الجامعات العربية باللغات الأجنبية وليس باللغة الأم، وهو يرى أن التعليم بغير العربية في جامعات الوطن العربي ظاهرة تخلف ليس لها أي مبرر، وتتنافى مع قرارات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى تعليم الطب باللغة العربية. وما هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الرد العلمي الموضوعي على كل حملات التشكيك في صلاحية اللغة العربية وعدم قدرتها على الإيفاء بمتطلبات تدريس العلوم والطب بالعربية.

4. التعريب قضية مجتمعية:

لما كانت المؤسسات التعليمية ترمي إلى خدمة المجتمع وممّده بالأطر المؤهلة والمدرّبة بغية العمل على تقدمه ونمائه، وكان التفاهم مع الجماهير الواسعة من أبناء هذا المجتمع إنما يجري باللغة الأم لا باللغة الأجنبية، غدا التعريب قضية مجتمعية يعزز الصلة بين المؤسسات التعليمية، مدارس وجامعات ومعاهد وبين مجتمعها وما تعلمه لأبنائها، وتعدّهم من أجله تحقيقاً لديمقراطية التعليم التي لا تتحقق إلا بطريق استعمال اللغة الأم، فديمقراطية التعليم وكونه باللغة الأم طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالآخر إلى الآخر.

5. التعريب قضية أمن ثقافي:

يعد الأمن الثقافي لأي أمة من الأمم في مقدمات أولوياتها، ذلك لأن الثقافة هي الحصن الأخير للأمة، فإذا سقط هذا الحصن أصيبت الأمة بالاضمحلال والزوال والامحاء. واللغة هي هوية الأمة وأمانة على شخصيتها وذاتيتها الثقافية، ولا تتجلى الذاتية الثقافية لأي أمة إلا عبر لغتها القومية، لأن الذاتية الثقافية تتمثل في التراث الفكري، وفي الرؤى الحضارية للمجتمع كما يرى الدكتور محيي الدين صابر إذ يقول: "على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته على تنمية الذاتية الثقافية للمجتمع، التي هي مناط سائر أنواع التتميمات الأخرى، وسبيل الأمة في العطاء الحضاري للمجتمعات، الأخرى، وأسلوب التبادل الخلاق مع

الآخرين⁽¹⁰⁾.

وتدلنا الملاحظة العابرة على أن الوطن العربي منكشف أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي يمضي كالسيل العارم، وإذا كانت أمتنا قد استطاعت في كثير من المراحل العصبية التي مرت بها عبر تاريخها أن تصمد أمام الغزوات العسكرية الأجنبية، وأن تحافظ على هويتها وكيانها في نهاية الأمر بفضل عمق جذورها الثقافية وحرصها على حمايتها، فإننا نلاحظ اليوم أن الغزوات تصيب جوهرها والقلب منها، ألا وهو وجودها الثقافي وكيانها بوصفها أمة واحدة لها دورها وإسهامها المتميز في مسيرة الحضارة الإنسانية. على أن حال الانبهار الذي تعيش فيه أمتنا لا بل حال الاستلاب الثقافي تستلزم تعزيز عملية التعريب وحسن الاختيار من الثقافات الأخرى، إذ إن عملية الحفاظ على الهوية الثقافية لا تنفي أهمية الانفتاح على المواد الثقافية الإيجابية في الحضارات إغناء للثقافة العربية في إطار من الموروث القديم، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وإن يتقبل التغيير دون أن يعترب فيه.

والتعريب من زاوية الأمن الثقافي ضرورة لإيقاف الغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة، ويبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يقرأ أو يكتب أو يفكر فيه بالعربية ليقف على أرض صلبة في مواجهة الاستلاب والهيمنة والتبعية الأجنبية.

6. التعريب قضية إبداع وابتكار:

إن التعريب يهدف إلى بناء شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقنية "التكنولوجيا"، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي.

وإذا كان التعريب يهدف إلى تأكيد الهوية واستنبات العلم عربياً والإسهام في مسيرة الحضارة العالمية، فإن السبيل إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلم ويعلم ويبحث

بها مع الأخذ بالحسبان أن التعريب لا يعني الانغلاق. ونحن في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات وتنوع الوسائل، ذلك لأن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر الحضارة الإسلامية، ولا بد من إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان العربية خدمةً للتعريب في الوقت نفسه.

رابعاً: مواقف واتجاهات

لو رحنا نرصد المواقف والاتجاهات تجاه التعريب في التعليم الجامعي فإننا نلاحظ ان ثمة ثلاثة مواقف يمثل أولها التأييد للتعريب، ويمثل ثانيها المعارضة له، وثمة موقف ثالث محايد.

أما الموقف الأول فيرى مؤيدوه، كما سبقت الإشارة، أن التعريب قضية قومية ودينية ومجتمعية وتربوية وأمن ثقافي وإبداع وابتكار، ويرون أن تعريب التعليم العالي في جميع درجاته ومراحله وأنواعه ردف للغة العربية، وحقق نسغ جديد يزيد في حيويتها وغناها، ويضمن تدفقها وثراءها، ويحقق استيعابها لأغراض الحضارة الحديثة في ميادينها المختلفة، كما يؤدي إلى نقل العلوم الأجنبية إلى أرض الوطن العربي، ثم إلى ترسيخ التفكير العلمي في أذهان الأجيال العربية المقبلة، بحيث يغدو التفكير العلمي والتعبير العربي صنوين متحدين ملتحمين حافزين إلى الإبداع والابتكار، هذا إلى جانب التواصل الدائم مع ما يجد من بحوث علمية على الصعيد العالمي باللغات الأجنبية⁽¹¹⁾.

كما يرون أن العزوف عن التعليم العالي بالعربية تفريط في حق الشعب العربي، وحؤول دون تقدمه السليم ودون انتقال العلوم إليه، ودعم للتجزئة بالإبقاء على اللهجات المحلية، وتيسير للمصالح الأجنبية في التسرب إلى الوطن العربي واستغلال خيراته. وينطلق مؤيدو التعريب في رؤيتهم من أن التعريب يرمي إلى تماسك الوحدة الوطنية وتنمية الشعور القومي، وتقوية الروابط الثقافية بين أبناء الأمة، وأنه ما وجدت أمة من الأمم إلا وكانت لها لغتها الخاصة بها، وإن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وذاتيتها وهويتها. كما أن التعريب يحقق

الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويربط الحاضر بالماضي، ويبعث التراث العلمي الذي بلغ مرتبة عالية في تاريخ العرب، ويعزز وشائج الربط بين الجامعة والمجتمع، ويوحد المجهود العلمي والفكري في الوطن العربي، ويساعد الدارسين على الفهم والاستيعاب، ويحقق ديمقراطية التعليم.

أما أنصار التعريب من المعارضين للتعريب فيرون أن لغة العلم في عصرنا الحالي هي اللغة الإنجليزية، وأن المراجع والمصادر هي باللغة الإنجليزية، وإن هنالك فقراً في المراجع باللغة العربية، وأن العلوم تتطور بسرعة فائقة ولا يمكن للترجمة أن تلحق بالتطور، لا سيما في ميدان العلوم والتقانة "التكنولوجيا"، كما أن هنالك قلة في الأساتذة المُعدّين للتدريس بالعربية.

بيد أن مؤيدي التعريب يرون أن هذه الحجج التي يبديها المعارضون لا تتفق والواقع، إذ إن أنصار التعريب يرون في إتقان اللغة الأجنبية إغناء لمسيرة التعريب وإفادة من تجارب المجتمعات الأخرى، مالم يكن ذلك الإتقان على حساب اللغة الأم.

وإذا كان معارضو التعريب يرون أن في كل علم عدداً كبيراً من المصطلحات، وأن أكثر هذه المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن فإن مؤيدي التعريب يرون أن استعمال اللغة العربية في التعليم أمر، واستعمال المصطلحات أمر آخر، فلا ضير أن نكتب عن العلم بالعربية ونلقي المحاضرات بالعربية، ولتبقِ المصطلحات أمراً آخر، فلا ضير أن نكتب عن العلم بالعربية ونلقي المحاضرات بالعربية، ولتبقِ المصطلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تعرب، ولينطق المحاضرون بالمصطلحات الأجنبية التي لا مقابل لها، ولكن ليكن شرحهم لها وحديثهم عنها باللغة العربية.

وإذا كان معارضو التعريب يرون أن اللغة الإنجليزية هي لغة العلم ولا بد من تعليم الطالب بها، فإن مؤيدي التعريب يرون أن اللغة الإنجليزية ليست وحدها لغة العلم، فهناك الفرنسية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية والصينية، وهاهي ذي البلدان الأوربية وغيرها تعلم طلبتها بلغاتها، وليس هناك شكوى من أن هؤلاء الطلاب ممنوعون من الاطلاع على المراجع، وأن نافذة العلم قد أغلقت دونهم، ويؤيد ذلك البحوث العلمية والمخترعات والمكتشفات التي ينجزها أبناء هذه

المجتمعات.

أما الداعون إلى التريث في التعريب فيرون أن التعريب يستلزم مدى زمنياً، ولا يمكن أن يبدأ إلا بعد توفير مستلزماته، ونظراً لأن هذه المستلزمات غير متوفرة بقدر كافٍ كان التريث في التعريب أمراً تقتضيه الظروف الراهنة، ولذلك يقفون على الحياد بين المؤيدين والمعاصرين.

وهذه شريحة ينطبق عليها قول "دانتي": إن أشد الأماكن حرارةً في جهنم محجوز للذين يقفون على الحياد في أوقات الأزمات" وأيُّ أزمة أفدح من طمس هوية الأمة والتعدي على ذاتيتها الثقافية؟ وكلنا يعلم أن الحصن الثقافي هو آخر حصون الأمة استعصاء على الأعداء، فإذا سقط - لا قدر الله - آلت شخصية الأمة إلى ذوبان واندحاء.

خامساً: إجراءات عاجلة:

انطلاقاً مما ورد في "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي "مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ رَسُولَهُ الْمُصْطَفَى (ص)، وَمَنْ أَحَبَّ النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ أَحَبَّ الْعَرَبَ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ أَحَبَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ عُنِيَ بِهَا، وَثَابَرَ عَلَيْهَا؟" "وصرف همته إليها".

واستناداً إلى قرارات مؤتمر القمة العربية في الرياض عام 2007 م ومنها: "لا بد من العمل الجاد على تحصين الهوية العربية، ودعم مقوماتها ومركزاتها، وترسيخ الانتماء إليها في قلوب الأطفال والشباب وعقولهم، باعتبار أن العروبة ليست مفهوماً عرقياً عنصرياً، بل هي هوية ثقافية موحدة، تلعب اللغة العربية دور المعبر عنها والحافظ لتراثها، يثريه التنوع والتعدد والانفتاح والتقنية المتسارعة دون الذوبان أو التفتت أو فقدان التمايز".

وحفاظاً على لغتنا العربية والتمكين لها في شؤون حياتنا، والعناية بها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها.

واستثناساً بتجارب الأمم الأخرى في حفاظها على لغتها الأم.

أرى أن من الإجراءات العاجلة التي ينبغي لنا اتخاذها بغية تجاوز العقبات الحائلة دون تحقيق الأهداف المرجوة:

1. وضع سياسة لغوية واضحة على الصعيد القومي، وإصدار القرار السياسي اللازم لتطبيق هذه السياسة مادامت دساتير دولنا العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية المعتمدة في هذه الدول، وبذلك يكون أي تساهل في هذا المجال إنما هو اعتداء على حقوق الشعب العربي في سيرورة لغته الأم على جميع الصعد. وإن التسويف في تطبيق التعريب في جامعاتنا ومعاهدنا لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من تجارب الأمم الأخرى معلماً نستهدي به في مسيرتنا، فها هي جامعة الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كلها، وعندما أصدر "هوشي مينة" أمره بالفتنة الشاملة على الرغم من أن الفرسة للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين سنة، طلب أساتذة الطب في هانوي مقابلته ليخبروه بأن فتنة الدراسات الطبية عملية مستحيلة، بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إهمال تطبيق الفتنة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات، ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً لهم: يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية في خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تجري الامتحانات وفي سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية⁽¹²⁾.

والواقع أن اللغة العربية صالحة لتدريس مواد المعرفة كافة بها، كما أثبتت التجربة السورية في التعليم باللغة الأم طوال قرن كامل، ولا ينكر صلاحيتها إلا بعض أهل السياسة، إذ إن دساتير الدول العربية كلها تنص على أن لغة الدولة الرسمية إنما هي العربية، ولكن بعض المسؤولين في بعض الدول العربية يغضون الطرف عن عدم استعمال العربية في التدريس، ويفسحون في المجال للتدريس باللغة الإنجليزية واستبعاد العربية.

2. وضع خطة لغوية على الصعيد القومي ينهض بها اتحاد المجامع اللغوية العربية بالتنسيق والتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، على أنها إحدى الجهات المختصة في جامعة الدول العربية، على أن تستأنس بها الدول العربية في وضع خططها الوطنية، ويمكن الاستئناس في هذا المجال بخطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية التي وضعتها لجنة التمكين للغة العربية في سورية، والتي تم فيها توزيع الأدوار على جميع الجهات المعنية في المجتمع، بغية العمل على أن تقوم كل جهة بتنفيذ ما طلب إليها في هذه الخطة تنقية للبيئة اللغوية من التلوث، وحفاظاً على السلامة اللغوية.

3. وضع خريطة بحثية على المستوى القومي لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية، وكفانا الاعتماد على الاجتهادات الشخصية والانطباعات الذاتية في معالجة مشكلتنا اللغوية، على أن يجري التنفيذ بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبالتنسيق مع اتحاد المجامع اللغوية العربية، وعلى أن تهض مراكز البحوث العربية، بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية، بإجراء الدراسات العلمية لمعالجة تلك المشكلات.

4. تفعيل الجمعيات الخاصة والأهلية التي شُكلت في بعض دولنا العربية لحماية اللغة العربية، ودعمها ببعض ماتحتاج إليه لتأدية رسالتها في التبصرة اللغوية من جهة، وفي تنقية البيئة من التلوث اللغوي من جهة ثانية.

5. العمل الحثيث على زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة "الإنترنت" نظراً لتزايد أهمية اللغة في مجتمع المعرفة وفي الاقتصاد القائم على المعرفة، على أن تقوم وزارات التعليم العالي والبحث العلمي بالتنسيق مع وزارات الثقافة والاتصالات والجمعيات المعنية بتنفيذ هذا المسعى.

6. تعزيز دور مجامع اللغة العربية في وطننا العربي في تعريب العلوم والتقانة ونشر إنجازاتها وتعميمها على جميع قطاعات التنمية، على أن تكون قرارات المجامع ملزمة لجميع الجهات

المعنية، ولن يتحقق هذا التوجه إلا بإعادة النظر في قوانين هذه المجامع لتغدو مساعدة على التنفيذ في نصوص موادها.

7. **إيلاء الأهمية لاستعمال اللغة العربية السليمة في الإعلام العربي وفي الإعلان:** لما كان للإعلام دور هام في التبصير كان التوجه إليه ليضطلع بدوره الإيجابي في التعريب أمراً على درجة كبيرة من الأهمية، ومن يلق نظرة عابرة على واقع إعلامنا العربي يجد أنه واقع مر ويا للأسف! إذ إن ما تبثه القنوات الفضائية العربية - وما أكثر هذه القنوات! - وما تحفل به الإعلانات - وما أتفه ما تضمنته هذه الإعلانات في الأعم الأغلب! - إنما ينأى ذلك كله عن استعمال اللغة العربية السليمة في معظمه من جهة، وتهيمن عليه اللهجات العامية من جهة أخرى، ويزخر بالقيم المنافية لأصالة الأمة، إذ إنه يعمل على تسطيح الثقافة وهشاشتها من جهة ثالثة عندما يعزز قيم الاستهلاك والتفكير الخرافي، ويستثير الغرائز والشهوات، ويمجد العنف وينظر إلى الدنيا على أنها مسألة حظوظ.

ومن هنا كان على وزارات الإعلام، بالتنسيق مع وزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي وبمؤازرة الجهات المعنية الأخرى من اتحادات ونقابات وجمعيات أن تضع البرامج البديلة التي تتوفر فيها الجدية والفائدة والتشويق، وعلى أن تبث هذه البرامج بلغة عربية سليمة وقريبة من روح الجماهير وتطلعاتها.

8. **تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الأخرى** لأن نسبة ما يترجم في هذا المجال ضئيلة جداً، وهذا ما يدعو إلى زيادة هذه النسبة، وذلك بدعم مراكز الترجمة ومنظماتها على نطاق الساحة العربية، ووضع الإمكانات اللازمة من أمور مادية وتهيئة أطر بشرية قادرة وكفية للقيام بهذه المهمة خدمة لعملية التعريب، وحذا لو يُدعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة على أنه الجهة المعنية على الصعيد القومي.

9. **تعزيز تحقيق التراث العلمي العربي** وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية، إن في داخل الوطن العربي أو في خارجه، كالمتحف البريطاني في لندن، والمكتبة الأهلية بباريس،

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

والإسكوريال في إسبانيا، والمكتبة السلিমانيّة في استانبول... إلخ وتكليف الباحثين في الدراسات العليا في معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بسورية، القيام بدور فعال في هذا المجال.

10. وجوب التكامل والتنسيق بين الجهات العاملة في ميدان التعريب على نطاق الوطن العربي، حرصاً على الجهود المبذولة وتوحيداً للرؤية الفكرية، وتجنباً لتكرار التوصيات من غير تنفيذ لها.

حواشي البحث

1. الدكتور محي الدين صابر ، قضايا الثقافة العربية المعاصرة - الدار العربية للكتاب - تونس 1982 ص 87.
2. شحاة الخوري - واقع اللغة العربية عربياً ودولياً - مجلة التعريب - السنة الحادية عشرة العدد الحادي والعشرون 2001، ص 31.
3. عبد الله العروي- ثقافتنا في ضوء التاريخ - المركز الثقافي العربي - بيروت - الطبعة الثانية 1988، ص 28.
4. الدكتور محمو السيد - في قضايا التعريب - دمشق 2002، ص 22.
5. الدكتور شكري فيصل - المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف - عرض ودراسة 1982، ص 50.
6. الدكتور محمو السيد - كلمات تريبوية - وزارة الثقافة السورية - دمشق 2005، ص 184.
7. الدكتور محمود السيد - المرجع الثالث، ص 55.
8. الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع والدكتور مصباح الحاج عيسى - أثر استخدام اللغة الإنجليزية وسيلة اتصال تعليمية على التعليم الأكاديمي لكلية العلوم بجامعة الكويت - مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت - المجلد الرابع عسر، العدد الرابع، 1986، ص 155.
9. الدكتور محمود السيد - التجربة السورية في التعليم باللغة الأم - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبو ظبي - مؤتمر اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير 2008، ص 14.
10. الدكتور محي الدين صابر - دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافية - المجلة العربية للتربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - المجلد الثاني - العدد الثاني، سبتمبر ، ص 52.
11. الدكتور عبد الكريم اليافي - الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي في الجامعات العربية لعام 1990، ص 207 - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.
12. الدكتور محمو السيد - المرجع الثالث، ص 39.

إشكاليات التعريب في تعليم العلوم الطبية

أ.د. فهد عبد العزيز المهنا

جامعة الملك فيصل

المملكة العربية السعودية

أ.د. مروان جبر الوزة

جامعة دمشق

الجمهورية العربية السورية

المستخلص:

يعدّ تعريب العلوم الطبية بوابة لتوطين تلك العلوم في البلدان العربية، بيد أنّ مسألة تعليم هذه العلوم باللغة العربية لا تزال موضع خلاف بين المهتمين بتعليم العلوم الطبية على اختلاف مشاربهم، ولم تُعتمد اللغة العربية إلا في قلة قليلة من الجامعات العربية، فضلاً عما توصم به المنطقة العربية من نزوب وتصحّر معرفي في زمن يجوب فيه أبنائها من الأطباء آفاق الغرب، ويسهمون في أبحاثه، كلّ بحسب موقعه، ولكن دون أن تتسبب هذه الجهود إلى الجامعات والمجتمعات التي جاؤوا منها. يستعرض هذا المقال وظيفة اللغة في التعليم، ويناقش حجج المؤيدين والمعارضين لتعريب العلوم الطبية، ويؤطر لمقاربة علمية متوازنة تسعى نحو إيجاد رؤية مشتركة تكون الأساس لوضع حلول عملية بعيداً عن آمال المستعربين والمستعربين ونبيّاتهم.

مقدّمة:

يهدف التعليم الطبي في مطلع الألفية الثالثة تبعاً لمنظور منظمة الصحة العالمية إلى تخريج أطباء قادرين على العمل في جميع مستويات الرعاية الصحية وفق مفهوم (طبيب خمس نجوم)، فعلى عاتق طبيب الغد تقع خمس مهام ينتظر منه إنجازها على أكمل وجه؛ فهو مقدّم للرعاية الصحية، يمارس رعاية إكلينيكية رفيعة المستوى شمولية الجوانب، فيشخص الإصابة الجسيمة أو المرض الخطير، ويدبّر المرض المزمن وحالة العجز، ويقدم الرعاية الوقائية من خلال علاقة ائتمان طويلة الأمد مع المريض. وهو صانع القرار الذي يختار خلال تقديمه للرعاية الصحية

تقانات قابلة للتطبيق أخلاقياً وذات تكلفة مقبولة. وهو المُحدث (البارع في التواصل) القادر على تعزيز أساليب الحياة الصحية من خلال التدخّل المؤكّد الذي يشجّع المجموعات والأفراد على تحسين صحتهم، منطلقاً لتحسين صحة البيئة والمجتمع. وهو قائد المجتمع الذي يكسب ثقة من يعمل بينهم، ويوفّق بين متطلّبات الفرد والمجتمع، ويبادر الفعل لمصلحة المجتمع. وأخيراً هو عضو الفريق الذي يَسْتَطِيع العمل بانسجام مع الأفراد والمؤسسات داخل نظام الرعاية الصحية وخارجها لِسَدِّ حاجات مرضاه ومجتمعه.²⁴

إنّ تحديد مواصفات المنتج النهائي في تعليم العلوم الطبية وفق ما تهدف إليه منظمة الصحة العالمية، يجعل من السهل على المتنبّع استنتاج وظائف اللغة في عملية التعليم، وتبيان مدى انحراف بوصلة دعاة التعريب ودعاة التعريب عن الأهداف النهائية لعملية تعليم العلوم الطبية، ويسهّل تحديد الاحتياجات اللغوية لطبيب الغد في عصر العولمة.

وظيفة اللغة في التعليم:

تعدّ اللغة أهم أسس التواصل في المجتمعات، فهي وسيلة التعبير عما يجول بخاطر المرء من رغبات وأحاسيس، وما يصادف من مواقف، وهي أداة التخاطب مع الآخرين وتبادل الآراء والأفكار والمشاعر معهم، ولا تقتصر وظيفة اللغة على إمداد الفرد بالأفكار والمعلومات ونقل الأحاسيس إليه، بل إنها تعمل على إثارة أفكار وانفعالات ومواقف جديدة لديه، وتدفعه إلى الحركة والتفكير، وتوحي له بما يعمل على تفتيق ذهنه وتوسيع آفاق خياله، وتنمية قدرته الإبداعية.¹⁰ وإذا ما تتبع الباحث مسار المعلومات تبين له أنّ الكائن البشري إنما يستقبل المعلومات من محيطه الخارجي بحواسه الخمس، ومنها تُثقل إلى الدماغ، وهذه المعلومات التي يعالجها الدماغ تنبثق على هيئة مشاعر وأحاسيس وتصورات وأفكار تأخذ سبيل التعبير عنها في معلومات مُخرّجة لغتها الأولى لغة الإشارة، ولغتها المختزلة الرفيعة هي اللغة المنطوق بها، وفي حين تبقى الحواس الخمس في قفص التذكّر وما يستثيره من أحاسيس ومشاعر، فإن تعابير اللغة هي الوحيدة القادرة على وصف المعلومة وسبيل التلقي والإخراج، وما يستتبع ذلك لدى المرء من

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

محاكمات واستنتاج. ولا يتفق علماء اللغة في اقتصار وظيفة اللغة على التعبير والتواصل والتفاهم؛ فإلى جانب التواصل يرى بعضهم أن اللغة وظائف رئيسة متعددة أخرى يمكن تبيانها فيما يلي:²²

أ. الوظيفة النفعية: فاللغة هي وسيلة التعبير عن الحاجات والرغبات منذ الطفولة الأولى بصيغة (أريد كذا...).

ب. الوظيفة التنظيمية: وتتمثل في الطلب من الآخر بصيغة الأمر أو النهي (افعل.. أو لا تفعل..).

ج. الوظيفة التفاعلية: وتعني تفاعل الإنسان مع أفراد مجتمعه بوصفه كائناً اجتماعياً، وما تُطَوِّره لغة المجتمع من صيغ تعبر عن ثقافتها وموروثها الثقافي والديني.

د. الوظيفة الشخصية: فاللغة وسيلة الفرد في التعبير عن هويته وكيانه الشخصي وأفكاره ومشاعره ومواقفه إزاء ما يعترضه من قضايا وموضوعات.

هـ. الوظيفة الاستكشافية: وتتمثل في صيغة الاستفهام عما لا يعرفه الإنسان.

و. الوظيفة الإعلامية: فاللغة وسيلة نقل المعلومات والخبرات بين أفراد المجتمع ومن جيل إلى آخر.

ز. الوظيفة التخيلية: وتتمثل في التصوير البياني والقوالب اللغوية كالشعر والأهازيج والأغاني الشعبية.

ح. الوظيفة الرمزية: تعدّ اللغة رموزاً ذات دلالات تشير إلى موجودات في البيئة المحيطة، أو تدلّ على مفاهيم تجريدية في الكيان الاجتماعي الذي يستعملها.

تُختصر غاية كلّ عملية تعلّم في نقل المعلومة إلى المتعلّم، وإدراك المتعلّم لجوانب تلك المعلومة وفوائدها؛ لذلك تبقى اللغة على اختلاف وظائفها المذكورة، الإطار الموضوعي والوسيلة المثلى للتعبير عن ماهية المعلومة وتناقُلها، وتبقى عاملاً مساعداً على نمو التفكير وإخصابه وتطويره.

تلك الحقائق العلمية الواردة آنفاً لا تفرّق بين لغة وأخرى ما دامت تلك اللغة تقوم بوظائفها، وتؤكد أن ما يمتلكه الفرد من مخزون لغوي يَظهر على مقدار ما يكتسبه من معارف تُثقل بمفردات ذلك المخزون. بيد أن أمر اللغة لا يتوقّف عند تلك الوظائف في مجموعة بشرية ما، بل يتعداها بمرور الزمن لتصبح ذاكرة المجتمع وخزينة تقاليده وعاداته، وديوان أدبه، وسجل أفكاره، وتغدو إحدى وسائل انصهاره وتوحّده، وبوابة العبور إلى ماضي الجماعة البشرية وتاريخها، وبذلك تكتسب اللغة كينونتها، وتغدو مرآة المجتمع تعكس تناميّه وتطوره، ومرونته وتحضره، وباقي سماته. ولا شك أنها تخبو بتقهقر مكانة مجتمعيها في السلم الحضاري، وتؤدي دوراً رائداً إذا ما كان مجتمعيها يستلم زمام القيادة في ركب الحضارة والتقدم،⁹ وتتجلّى تلك الحقائق في موقف الفرد والجماعة من لغتهم، ويصل تعلّق بعضهم بلغته حدّ جعلها الرابطة القومية التي تؤلف بين قلوب قوم بأنفسهم، وتجعلهم أمة واحدة، ويصل افتتان بعضهم الآخر باللغة حدّ تقديسها،⁷ وليس ذلك ببعيد عن اللغة العربية؛ فالبعض يستشهد بالنص القرآني كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف 3]، وقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر 28] ليدلّل على عظمة بيان اللغة العربية وقديسيّتها، ويرى بعضهم الآخر أن خلود الذكر الكريم يعني ببساطة خلود اللغة العربية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر 9]، فهل نحن في حاجة إلى إثبات تلك الحقائق أو التهاور حولها؟!.

إن المقاربات السابقة للغة في إطارها الاجتماعي وجهها الديني تجعل من الصعب على الباحث العربي تقمّص صفة الحياد لدى مقارنة اللغة العربية في الدراسات اللغوية، وتفسّر إلى حدّ ما انقسام المهتمين بالتعليم بين مدافع عن التعليم بالعربية، وبين آخر يبدو أكثر انفتاحاً وينحاز إلى التعليم باللغات الأجنبية لأنها لغات العلم، وفي كلا الحالتين تنحرف اللغة عن وظيفتها الرئيسة في إيصال المعلومة وإدراكها، لتصبح السور الذي يتمترس خلفه المدافعون عنها، أو الضحية التي ينقضّ عليها أعداؤها ليفتكوا بها، وبعيداً عن محاولة الاصطفاف تحت راية أيّ من الفريقين، ثمة جملة من الحقائق والوقائع لا بدّ أن تؤخذ بالحسبان لدى محاولة الوصول إلى نتائج معقولة بعد ما يُنيّف على مئة عام من الجدل البيزنطي حول هذا الموضوع:

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

- إن الأمم المتقدمة بلا استثناء تصرّ أن يتعلّم المرء بلغته التي ارتضع لبانها مع لبن أمّه، بل إن العديد من دول العالم الثالث تعتمد التدريس بلغاتها الوطنية.²
- إن منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم قد أوصت باعتماد اللغة الوطنية في التعليم إلى أعلى مستوى ممكن، وقد بنيت تلك التوصية على نتائج جهود فريق من الخبراء أفضت إلى أنّ تواصل المتعلّم والمعلّم باللغة الأم هو السبيل الأمثل لإنجاز عملية التعلّم، بعيداً عن تشتت الجهد العقلي بين جوهر المعلومة ومسالك اللغة الدخيلة الوعرة.¹²
- إنّ التاريخ لم يسجّل قط، أنّ أمة من الأمم حققت التنمية والتقدّم الحضاري الحقيقي بلغة غيرها من الأمم.²
- إنّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلاّ يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء.¹⁵
- العربية اليوم قليلة الخطوة مهملة لأن الناطقين بها كذلك، ولأن العرب اليوم مستضعفون، وفي بوتقة العولمة يخشى المستضعف من ذوبان الهوية وفقدان الشعور بالذات، ويهلع من فكرة تحوّله إلى مخلوق ممسوخ مستضعف؟!²
- تُدرّس العلوم الطبية في معظم كليات الطب في الوطن العربي بلغات أخرى غير العربية؛ فبلدان المشرق العربي تُدرّس بالإنجليزية، وبلدان المغرب العربي تُدرّس باللغة الفرنسية، وتعتمد الصومال الإيطالية، ويتطابق ذلك إلى حدّ ما مع دراسة نشرتها منظمة الصحة العالمية منذ زمن، توصّلت فيها إلى أنّ الدول المستقلة سياسياً تُدرّس الطب بلغاتها، أما الدول التي خضعت لاستعمار فالطب لا يزال يُدرّس فيها بلغة المستعمر.⁶ ولا يخفى على المرء ما يطرحه عصر العولمة من استئثار اللغة الإنكليزية بموقع الريادة، ولا بدّ أن المجتمعات البشرية ستغدو أكثر تقارباً وانصهاراً في هذا العصر، وإن مدخلات تيار العولمة ستختلف بالتأكيد عن مخرجاته.¹⁸
- إن الإخفاق الرئيس الذي يكتنف أنظمة التعليم في العالم العربي عموماً يتمثّل في الإخفاق في حيّزة أداة التعليم الرئيسة ألا وهي اللغة؛ فمعظم الطلبة يعانون من ضعف القدرة على التعبير بالعربية الفصحى، ومن ضالة المخزون اللفظي والجهل بموارد تنمية هذا المخزون، ولا يبدو

تعليم اللغة الأجنبية أيسر، حالاً لأن إتقان اللغة أمر مختلف تماماً عن حفظ بعض المصطلحات والجمل، ويصف واقع الحال في كلية طب تُدرّس باللغة الإنكليزية أحد الأساتذة فيقول: «يظنّ الطالب في السنوات الأولى بأنه يدرس المناهج بالإنجليزية، وهو بعيد كل البعد عن ذلك، فأساتذته يدرّسونه في الغالب بلغة هجينة تُستعمل فيها الإنكليزية في المصطلحات فقط، وهو يُدرّس بهذه الطريقة المهجّنة لأنه لا يستطيع أن يفهم باللغة الإنكليزية، أو لأنّ مستوى الأستاذ ضعيف فيها أصلاً، فينجح الطالب في الامتحانات بحسن الظن، ولا تعجب إن رأيت الطلبة يستعملون الملازم والملخصات بدلاً من المراجع الإنكليزية»⁵، وبالمقابل يرى الكثير من الطلاب الذين يدرسون الطب بالعربية أنهم لا يدرسون المقررات العربية إلا لاجتياز الامتحانات الجامعية، فهم في النهاية يلجؤون إلى المراجع والمصادر الأجنبية للحصول على المعلومات الطبية الكاملة والحديثة، ولهذا يتساءل هؤلاء عن جدوى التدريس بالعربية وتحميلهم عبء دراسة الطب بلغتين؟

- ينصبّ جهد معظم الأساتذة الجامعيين على تلقين المعلومة بحسب الاختصاص، ويستعملون في تلقينها للطلاب خليطاً من اللغة الأجنبية، التي تلقّوا بها علومهم واللغة الدارجة التي قد تُطعم بعبارات عرجاء من العربية الفصيحة، وفي أغلب الحالات لا تكون حصيلة الطالب إلا صدى ما تلقّاه من خلط ولحن.
- إن تعلّم أية لغة تخصص لا يمكن إتقانه من خلال استعمالها في تعلّم فن أو علم آخر.⁴

حجج المدافعين عن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم الطبي:

يسوق المدافعون عن استعمال اللغة الأجنبية في التعليم، ولاسيما التعليم الطبي، جملةً من المبررات لا بدّ من وضعها تحت مجهر البحث والتمحيص لتبيان غثّها من سمينها، وتلك المبررات هي:

- من مسلّمات عصر العولمة أن المصدر الأول لعلوم العصر على اختلافها هو العالم الغربي الذي يعتمد اللغة الإنكليزية، وطالب العلم الذي لا يتقن تلك اللغة لن يأخذ العلم من منابعه بل

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

عبر قنوات ثانوية، فقد أضحى اعتماد اللغة الأجنبية لغةً تعليم ضرورة ملحة في التحصيل الأكاديمي، ولا يخفى على الحضيف عمق الهوة بين ما يتيسر للقارئ باللغة الإنكليزية من معلومات مقارنة بقارئ العربية.¹⁹

● إنَّ اللغة الإنكليزية أضحت قاسماً مشتركاً بين أمم الأرض في عصر العولمة، ومن الغريب أن يسبح المرء عكس هذا التيار الحيوي الذي يلفّ كرتنا الأرضية مصراً على التعليم بلغات أخرى.¹⁸⁺¹³

● إنَّ اهتمام الجامعات التي درّست الطب باللغة العربية وإصرارها على تعريب جميع الكتب الجامعية أدى إلى عدم اكتراث العديد من الطلاب بالمصطلح الأجنبي المرافق للمصطلح العربي، وفي ذلك نقص هام يصعب تداركه.

● تبدو العربية غير قادرة على متابعة التطورات الهائلة في العلوم الطبية، والمكتبة الطبية العربية في وضعها الحالي عاجزة عن استيعاب التطور الهائل والسريع في العلوم الطبية الذي يسير بسرعة أكبر بكثير مما كان عليه في السنوات السابقة.¹⁴

● لا يمكن لطالب الطب أو الطبيب الذي لا يجيد اللغة الإنكليزية متابعة التطور العلمي المذهل ما دامت معظم المجالات العلمية والمراجع الطبية تنشر باللغة الإنكليزية.

● كيف سيشارك الطبيب العربي الذي لا يجيد اللغة الأجنبية في المؤتمرات العلمية الدولية وهو لا يجيد لغة المتحدثين بها؟¹⁴

● إنَّ العديد من المصطلحات العلمية التي ترجمت إلى اللغة العربية جاءت بألفاظ فظة يصعب استيعابها؛ مثل القمعة مقابل Stomoxys أو midge، والمعتكلة مقابل Pancreas...

● لقد أشارت أحدث تقارير اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) إلى أن اللغة العربية من اللغات المرشحة للانقراض خلال هذا القرن؛ فلماذا الإصرار على استعمال كيان لغوي يحتضر؟⁸

● إن الطالب الذي يتعلّم الطب بالعربية يشعر بالنقص أمام أقرانه الذين يتعلمون الطب باللغة الإنكليزية.

حجج المدافعين عن تعريب التعليم الطبي:

- في مقابل تمحيص حجج المدافعين عن التعليم الطبي بلغة أجنبية لا بدّ من دراسة حجج المدافعين عن التعريب دراسة دقيقة، ويمكن إجمال حجج الميالين إلى تعريب التعليم الطبي بـ:
- تعريب الطب يعني اعتزاز أطباء الأمة بلغتهم، وتأكيداً لهوية الأمة الثقافية، ومن الأمور التي تحول دون أن تُهجر اللغة العربية، وأن تنتهي كالسريانية لغة تُستعمل لغرض قراءة الكتاب المقدس فحسب.¹
 - التعليم الطبي بالعربية تدارك لخطر مؤكد يتهدّد التعليم الجامعي نفسه بالسطحية، ويحرم الطالب من الفهم الصحيح، ويدفعه أحياناً إلى الاستظهار دون إدراك المعنى الدقيق، وقد يغدو قاصراً عن تمثّل ما يتعلّمه عندما تُعتمد اللغة أجنبية وحدها في التعليم.
 - التعليم بلغة أجنبية يتطلّب وجود أساتذة يتقنون اللغة التي يجري التعليم بها فهماً وإلقاءً، ويتطلّب وجود الطالب الذي يتقنها فهماً واستيعاباً وتحديثاً وكتابةً، ومن المؤسف أننا سمعنا محاضرات طبية أُلقيت في قاعات جامعات عربية مرموقة بلغة هجينة، اختلطت فيها العامية المحلية بالمصطلحات الأجنبية اختلاطاً عجيباً.
 - إن تحقيق شعار الصحة للجميع لا يقوم إلا على أساس متين من مشاركة المجتمع مشاركة كاملة، ولا يمكن إنجاز تعليم المجتمع وتنقيفه بلغات أجنبية دخيلة، فكم سينتظر المثقّف الصحي الذي يخاطب جمهوره العربي ليتجاوب معه هذا الجمهور على اختلاف شرائحه وهو يرطن بلسان أعجمي؟.
 - إن زعم عزز الأستاذ الجامعي العربي عن التعليم بالعربية ما هو إلا وهم كبير أو زُهاب Phobia مرّدّه هذا الجو النفسي المريض الذي أُقيم حول التعريب.²
 - المشكلة ليست في تعريب الطب، بل في تعودّ تعريب الطب،... والقرار العلمي يجب أن ينبع من القاعدة، وليس من القمّة.¹⁴
 - لا بدّ من التفريق بين مفهوم التعريب والترجمة، فالمطلوب ليس الترجمة في حدّ ذاتها بل التعريب.

- إن تخلف العرب الطبي وتراجعهم في مجال البحث العلمي يعود إلى جملة أسباب أهمها عدم توطيد العلوم والعدول عن استعمال اللغة العربية في البحث والتعليم.

مقاربة حجج الطرفين:

تسعى هذه المقاربة الناقدة لحجج الفريقين كليهما إلى تقليص نقاط الخلاف إلى حد أدنى يمكن البناء عليه لرسم ملامح الحلول لهذه الإشكالية، ولا ريب أن مقاربة حجج الفريق المدافع عن اعتماد اللغة الأجنبية في التعليم ستبين ضرورة إتقان لغة العصر، اللغة الإنكليزية لدى صفوة الأجيال القادمة من أكاديميين ومفكرين وأطباء ومهندسين وغيرهم ممن يمسكون بناصر القرار، ويقع على عاتقهم رسم مستقبل الأجيال، ولكن بذل قصارى الجهد في تعلّم اللغة الأجنبية على حساب اللغة الأم بدأ يلحق الضرر بالهوية الفكرية والثقافية للفرد والمجموعة، فقد تراجعت اللغة الأم من لغة علم لتصبح لغة الحديث في شؤون الحياة اليومية قبل أن تتلاشى في أتون اللغة الوافدة مع تعاقب الأجيال.

إن التراث الإنساني حلقات متواصلة تربط الماضي بالحاضر،¹⁶ وليس في اعتماد اللغات الوطنية، وتلمس أساليب إتقانها ما يعني بحال من الأحوال السباحة عكس تيار العولمة إذا ما اختصر هدف العولمة النبيل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات 14]، وكما أضحى من الضروري في عصر العولمة تفريق جوهر الإسلام ومبادئه الرفيعة السامية عن أفعال بعض المسلمين ونتائجها الكارثية أحياناً، فإن اهتمام الباحث يجب أن ينصب على جدوى التعريب وفحوى رسالته دون أن يُتخذ من عثرات هذه الجامعة أو تلك، التي اعتمدت تدريس الطب باللغة العربية، دليلاً فيصلاً يقطع الشك باليقين، ويثبت عقم التعريب واتباعه.

أمّا وصم العربية بالعجز عن متابعة التطورات الهائلة في العلوم، وعدم قدرة المكتبة الطبية العربية في وضعها الحالي عن استيعاب التطور الهائل والسريع في العلوم الطبية الذي يسير

بسرعة أكبر بكثير مما كان عليه في السنوات السابقة فظاھرہ صحيح، ولكن الإشكالية لا تكمن في اللغة ذاتها، بل في غفلة وتكاسل الناطقين بها عن اعتمادها وسيلة تواصل علمي، ولا شك أن اعتماد تدريس الطب بلغة أجنبية سيقصص ذلك الجمهور من طلبة الطب الذي يتوق إلى قراءة النص العربي، وأن عمق الشعور بتمام المستورد الغربي ونقصان مصادر المعلومات الحديثة المترجمة إلى العربية، إلى جانب ما يعتور الترجمة من مواقع الوهن والخلل في كثير من الأحيان، يتجلى بتوجس وهلع الكثيرين ممن درسوا علومهم الطبية الأولى بلغة أجنبية من اعتماد اللغة العربية في ممارسة التعليم الطبي، يضاف إلى ذلك تهيب معظمهم من وعورة النص العربي، وخشيتهم من تراجع لغتهم الأجنبية التي تعدّ خيط تواصلهم اليتيم مع مصادر العلم الحديث.

لقد رَسَخَتْ خلال القرن المنصرم نظرة بائسة بين أطباء الأمة جعلت الكثيرين منهم يهرعون إلى التغريد بلغات دخيلة قبل أن يُوصموا بالنقص لأنهم لا يجيدون إلا العربية، وانتهى الأمر بالسواد الأعظم منهم إلى إهمال عربيتهم دون أن يصبحوا قادرين على التعبير المتقن باللغة الدخيلة التي تعلموا الطب بها، وقد أفضى هذا الواقع إلى ترزع ثقة الكثيرين منهم بأنفسهم، وفي الختام قد لا تكون المهارات السريرية والعملية للطبيب في منأى عن تأثير سوء التواصل واضطراب الثقة بالنفس، ولسوف يستتبع ذلك مواقف متضاربة من العربية والتعليم بالعربية.

لا ريب أن الشعور بالنقص أو الخشية من اعتماد اللغة العربية هو ابن الخيبة والشك بمجمل المنظومة الاجتماعية، وعنوان انفصال المرء عن تاريخه وتراث أمته، ومقدمة لغرية جديدة بحثاً عن هوية، وما يثير السخرية والسخط أن هذا الغرب الذي يمدنا بقشور حضارته، ويحولنا، بوصفنا أمة، إلى قطيع مستهلك، قد لا يقبل أن يمنحنا "هويته المباركة" وتفانيه في خدمة حقوق الإنسان" في شرق الأرض ومغربها، إضافة إلى رأفته المعهودة بحقوق الحيوان.

أما الشكوى من صعوبة ووعورة الكثير من المصطلحات الطبية العربية فهي في مكانها الصحيح، بيد أن هذه الشكوى قديمة العهد؛ فالمطلع على أحدث إصدارات المكتب الإقليمي

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

لمنظمة الصحة العالمية من القاموس الطبي الموحد سيلمس جنوباً بيناً إلى السهولة، وحرصاً على استعمال المسمى الأجنبي منقولاً بأحرف عربية.

وفي النهاية هل تبدو العربية من اللغات التي ستقرض خلال هذا القرن كما أشار تقرير اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم) لعام 2006؟⁸

إن غياب المقاربة الناقدة لهذا التقرير حول بعض المؤتمرات المتعلقة باللغة العربية والتعريب إلى احتفالات تأبينية لروح تدفن حية، بعد أن تكهن البعض بفنائها لغاية في نفسه أو لواقع لمس فيه تراجع مكانة اللغة، فانطلقت جوقات النادبين والمعرّين، ولم يخطر ببال أكثرهم السؤال عن شروط فناء اللغة، ولماذا سيتكلم أحفاد العرب خلال أقل من قرن في عمر أمتهم بلغة أخرى؟

إن هذا التقرير بحاجة إلى قراءة علمية متأنية قبل أن يطلق المستعربون النار عليه، أو أن يضيفه المستعربون إلى قائمة حججهم الطويلة التي تجعلهم عازفين عن التعريب. لكن استقراء التاريخ يثبت أن التعدد لم يضعف اللغة العربية طوال تاريخها، بل إنها تفاعلت مع اللغات الأخرى من موقع قوة عن طريق الترجمة والتعريب، ولم تتراجع في محيط يطبعه التعدد اللهجي واللغوي؛ لقد كان استشعار التهديد ناجماً عن الاحتلال الأجنبي الذي مارست لغته (ولا تزال) الهيمنة اللغوية المرتبطة بالهيمنة السياسية.¹¹

في مقابل ما سبق من حجج المستعربين والردّ عليها يبيّن الاستعراض الناقد لحجج المستعربين أن بعض تلك الحجج تنطلق من حقائق موضوعية لكنها تأخذ طابع الغلو والمبالغة بعيداً عن مقاربة وظيفية اللغة على العموم، والبحث عن دور اللغة الأم في عصر العولمة. فلا شك أن اعتماد اللغة العربية في التعليم الطبي من الوسائل التي تحول دون تراجع مكانة اللغة العربية لتصبح بعد أمد لغة تُستعمل لغرض قراءة الكتاب المقدس فحسب،⁵ ولكن القسم الذي يقسمه الأطباء منذ عهد أبوقرط لا يفرّق بين أجناس البشر وألوانهم وطبقاتهم، ويحثّ على تطبيب العدو بجودة تطبيب الأخ والصديق، ومعظم الأطباء على سطح الأرض يحملون في قلوبهم إنسانية مهنتهم، ولعل أفصح لغات تواصلهم مع مرضاهم هي تخفيف آلام أولئك المرضى

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

ومعاناتهم، سواء تلقوا علوم الطب بالعربية أم بالإنكليزية أم بأية لغة أخرى، وليس في هذه الحقيقة الواضحة ما يدعو إلى انسلاخ الطبيب الإنسان عن مجتمعه وتراثه وأصالته.

من جانب آخر لا تتأتى سطحية التعليم الطبي من مجرد اعتماده بلغة أجنبية، فسطحية التعليم تنجم إما عن ضحالة المادة العلمية، أو ضعف أداء الأساتذة أو سوء إعداد الطلاب، ولا يمكن الحكم على مجمل التعليم باللغة الأجنبية من إخفاق تجارب بعض الجامعات، بعيداً عن مناقشة مدى استعدادها للتدريس بلغة أجنبية وإهمال الدولة للتعليم الطبي.

لقد أخذ الطب المسند أو الطب الموثق بالأدلة مكانه في عالم اليوم، لكنّ الأدب الطبي فيما يتعلّق بدراسات وبحوث لغة التعليم الطبي لا يزال ضحلاً، وفيما يلي عرض لخلاصة ما توصّلت إليه الدراسات والبحوث التي نشرت حول لغة التعليم الطبي وتعريبه:

● في دراسة أجراها الأستاذ الدكتور زهير السباعي والدكتور عدنان البار، وجد أن النسبة المئوية للمصطلحات العلمية في كتب الطب تبلغ قرابة 3.3%، وأن سرعة القراءة لدى الطالب العربي تزداد بنسبة 43% عند تحوّلته إلى العربية، وأنّ استيعاب الطلبة يرتفع بنسبة 15%، وأنّ 75% من الطلاب يفضلون الإجابة بالعربية عند سؤالهم بالانجليزية، كذلك يختصر الطالب 50% من الوقت عندما يتعلم باللغة العربية.⁶

● بينت نتائج الامتحان الذي يجري للأطباء الوافدين إلى الولايات المتحدة باللغة الإنكليزية، ويتقدّم إليه زهاء عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم، أن مستوى الأطباء السوريين لا يقل عن مستوى زملائهم من مختلف أنحاء العالم؛ أي إن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائفاً أمام الأطباء السوريين يحول دون اجتيازهم ذاك الامتحان بنجاح.⁶

● اتضح في دراسة أجريت في كلية الطب بجامعة الزقازيق في مصر على أوراق الإجابة التي كتبت باللغة الإنكليزية أن 10% من الطلاب استطاعوا التعبير عن أنفسهم جيداً، وأنّ 65% سردوا المعلومات المطلوبة، ولكنهم لم يحسنوا التعبير، وأن 25% لم يفهموا المعلومات.⁶

● تبين في مسح أجراه المجلس الصحي الأميركي الدولي American International Health

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

Council (AIHC) بين الطلاب المتخرجين من الجامعات السورية الذين يعملون أو يدرسون في الولايات المتحدة أن 32% منهم وجدوا أن انتقالهم إلى دراسة الإنكليزية والتحضير لامتحانات الأميركية كان سهلاً، في حين وجده 24% صعباً، ووجده 44% صعباً بعض الشيء.⁶

● خلصت مراجعة تجربة كليات العلوم الصحية بجامعة الجزيرة (السودان) في تعريب المناهج (1999-2003) إلى نجاح تجربة التعريب في عمومياتها، وأن هذه التجربة ستكون أكثر نجاحاً وقبولاً إذا ما عولجت بعض المعوقات، وتيسرت الإمكانيات اللازمة.²⁰

● بينت أحدث الدراسات المنشورة التي أجريت في جامعة الجزيرة في السودان حول تقويم أثر التعريب في تحصيل الطلبة، أن الأداء العام للطلاب الذين تلقوا تعليمهم باللغة العربية كان أفضل مقارنة بأقرانهم الذين تلقوا تعليمهم باللغة الأجنبية.²¹

● تقصت دراسة أجريت في كلية الطب بجامعة ابن الجزار في تونس مفردات علم الأعراض الجراحي والشعاعي وتكيفها في المحيط الثقافي العربي، واستنتج القائمون على الدراسة عدم صحة النظرية القائلة بحيادية اللغة الفرنسية المعتمدة في التعليم الطبي؛ فإلى جانب ما يعترض الطلبة من صعوبات في فهم القضايا العلمية، تبين حثها غير المباشر على نشر الثقافة الغربية في المؤسسات الأكاديمية في تونس.²⁵

● تناولت دراسة حديثة أجريت في جامعة كاليفورنيا أثر أثنية الطالب ولغة الطفولة الأولى في تقييم مهارات التواصل لدى أداء الفحص السريري (الإكلينيكي)، وخلصت إلى أن مراقبة إتقان اللغة الإنكليزية وفق التقييم المعتمد لاختبار القبول في كليات الطب Medical Collage Admission Test (MCAT) وامتحان الترخيص الطبي United States Medical Licensing Examination (USMLE) تبين أن تكلم لغة أخرى غير الإنكليزية في الطفولة الأولى يترافق بتدني علامة مهارة التواصل في الفحص السريري.²³

نحو رؤية شاملة مشتركة:

إذا كان اختلاف الرأي في المجتمعات الغربية يعني تنوع تلك المجتمعات وثراءها فيبدو أن

اختلاف رأي القائمين على أمر من الأمور في العالم العربي لا يزال يعني الشذمة والتفوق؛ لذلك تبقى قاعدة الاتفاق على خطأ خير من الاختلاف على صواب أهون الشرور، إذا كان البديل عنها فسيفساء غير متجانسة من التوجهات والبرامج التعليمية، ولعل في اتفاق الأساتذة الجامعيين العرب، الذين نذروا أنفسهم لتعليم الأجيال القادمة من الأطباء، على مقومات طبيب الغد التي ذكرت في مقدمة هذا البحث تكون بوابة لرؤية شمولية أكثر وضوحاً واتفاقاً؛ فمجمال وظائف اللغة التي ذكرت آنفاً يستطيع المرء أن يؤديها بلغته الأم أو باللغة الأجنبية برغم الفروق الواضحة التي ترجح كفة اللغة الأم، ولكن هل يمكن لمقدم الرعاية الصحية الرفيعة المستوى والشاملة، ولصانع القرار وللمحدث البارع ولقائد المجتمع ولعضو الفريق الذي يؤمن بروح الفريق، أن يكتسب كل هذه الموصفات دون إتقان لغة التواصل بمريضه ومجتمعه، ولغة التواصل بفريقه وزملائه على امتداد قريتنا الكونية، ودون أن يكون على مقربة من ينباع العلم والمعرفة ينهل منها مباشرة متى شاء؟

إن اعتماد لغة يتيمة في تعليم الطب مع بداية الألفية الثالثة ما هو إلا إجهاض لمشروع طبيب الغد بموصفاتة المذكورة آنفاً؛ ففي عصر العولمة لن يكتب لأي مؤسسة أو مركز بحث أن يخطو في مجال البحث العلمي بغياب القدرة الحقيقية على التواصل، سواء كان ذلك التواصل على صعيد المجتمع الذي تقدم له الخدمات، أم على صعيد المؤسسات والمراكز الوطنية والإقليمية الأخرى، أم على الصعيد العالمي. وبقطع النظر عن اعتبار أن اللغة الحية هي لغة العصر - وهي في عصرنا الراهن الإنكليزية بلا منازع - أو اعتبار أن اللغة العربية هوية الأمة، وصيانتها فرض عين على جميع أبنائها، فإن واجب رجل العلم يكمن في القدرة على التواصل الجيد مع العربي والأعجمي بلغة واضحة مفهومة تنقل ما يود القائل قوله دون لبس، وعندها يتحتم على أهل العلم من العرب ألا يكونوا من دعاة التغريب أو التعريب بل من دعاة فلسفة التواصل، فإذا ما كان الأمر كذلك أصبح من السهل عليهم أن يكتشفوا أن تطوير العلم لا تطير بجناح واحد، وأنه لا يمكن إتقان فن التواصل في عصرنا الراهن بإجادة لغة واحدة من اللغتين، فضلاً عن التعثر في اللغتين.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

وخلاصة القول: إن الهيئات التعليمية في كليات الطب على امتداد الوطن العربي مدعوة اليوم إلى التلاقي والبحث في سبل تمكّن طلبة الطب العرب من لغتهم الأم إلى جانب اللغة الإنكليزية أو الفرنسية، في مناهج تتقاطع في اعتمادها ما يفي بتخريج طبيب ماهر سريرياً، واثق من نفسه، ومؤمن بأتمته وحدائته في آن واحد، فمن المستحب في عصر العولمة اعتماد ثنائية اللغة في التعلّم والتعليم، وما ذلك على طلبة الطب الذين يُعدّون من الطلبة المتميزين في المجتمعات العربية بعسير .

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

المراجع العربية:

1. أبو رجيله، جمال الدين أحمد حسن (1999). التعريب: حدود الواقع وآفاق المستقبل، تعريب الطب، العدد 7.
2. الخياط، محمد هيثم (2002). التعريب: حديث مستطرد، تعريب الطب، العدد 13.
3. الديداوي، محمد (2000). الترجمة والتواصل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
4. الزهراني، حسن علي (2006). تعريب الطب: قول على قول!، صحيفة الوطن، العدد 1979، بتصرف.
5. الزهراني، حسن علي (2006). تعريب الطب: من يتقدم لحمل الراية؟، صحيفة الوطن، العدد 1923.
6. السباعي، زهير أحمد وعثمان، ماجد (1996). دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية، مؤتمر تعريب التعليم الطبي، الكويت.
7. الشراح، أحمد يعقوب (2007). أهمية استخدام اللغة العربية في التعليم العام والعالي، تعريب الطب، المجلد 11، العدد 2.
8. القاسمي، علي (2007). انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي، مجلة الفوائس (الالكترونية) الأحد 2006/3/18.
9. المبارك، مازن (2006). اللغة أثنى ثروات الإنسان، جريدة الثورة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الثلاثاء 2006/7/11.
10. المعتوق، أحمد محمد (1996). الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، 212، بتصرف.
11. تكريتي، عدنان (1996). المنظمات القومية والدولية المعنية بتعريب الطب وأدوارها في الماضي والحاضر والمستقبل.
12. بوطالب، عبد الهادي (2004). الحقوق اللغوية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
13. حنفي، حسن وجمال العظم، صادق (2000). ما العولمة؟، دار الفكر، بيروت، لبنان.
14. سمرة، خيرى أحمد (1996). تعريب الطب، مؤتمر تعريب التعليم الطبي، الكويت.
15. صقر، السيد أحمد، تحقيق الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، جمهورية مصر العربية 1977.
16. عطري، مصطفى ماهر (2006). الطب العربي: الماضي والحاضر والمستقبل، تعريب الطب، المجلد 10، العدد 1.
17. علي، نبيل سليم (2005). التعريب وتوطين العلم، تعريب الطب، المجلد 9، العدد 2.
18. غليون، برهان وأمين، سمير (2000). ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، بيروت، لبنان، بتصرف.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

19. كلاس، حازم (1326). العربية في عصر الثورة الحاسوبية بين التعريب والتعريب، مجلة المعلوماتية، العدد 18.
20. محمداني، أحمد عبدالله والجيلي، ضياء الدين وعثمان، عثمان طه أحمد (2005). تجربة كليات العلوم الصحية بجامعة الجزيرة في تعريب المناهج (1999-2003)، المجلة الصحية لشرق المتوسط، منظمة الصحة العالمية، المجلد 11، العدد 2/1.
21. محمداني، أحمد عبدالله (2006). تقييم أثر التعريب على تحصيل طلبة الطب، المجلة الصحية لشرق المتوسط، منظمة الصحة العالمية، المجلد 12، العدد 2.
22. يوسف، جمعة سيد (1999). سيكولوجية اللغة والمرضى العقلي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 145، بتصرف.

English References:

23. Alicia Fernandez et al (2007). Impact of Student Ethnicity and Primary Childhood Language on Communication Skill Assessment in a Clinical Performance Examination, J Gen Intern Med. 22 (8): 1155-60
24. Al Muhanna F and Parashar, S. (2002). Medical education in 21st century, College of medicine, King Faisal University.
25. Ben Abdelaziz A. et al (2003). Survey of surgical and radiological semiology modules and their adaptation to the Arabic cultural, East Mediterr Health J. 9 (3): 223-9.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

وسائل تعزيز التعريب والتخريط

اللغوي العربي

أ. عمر هزايمة

مدرس في جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الحصن الجامعية/أريد - الأردن

مقدمة

اللغة في حراك مستمر وتطور سريع بفعل التغيرات التي تحيط بها، سواء في مجتمعها الذي تستعمل فيه أم في المحيط العام من حولها. وهذا الحراك الدائم يؤدي إلى تكوين مفردات ومصطلحات وتعبيرات لغوية جديدة، منها ما يكون من اللغة ذاتها يستنبطه أبنائها، أو يكون مقترضاً من لغات أخرى، مما يثريها وينميها فيعطي الناطقين بها مجالاً وقدرة أكبر للتعبير، ويعزز من سبل الإفصاح عن الحاجات والغايات. ولم تعد اللغة وسيلة اتصال وتخابط يومي بين الأفراد والجماعات فحسب، بل غدت أداة هامة للتنمية الروحية والاجتماعية والعلمية.

"وإن التوسع المعرفي والتقدم العلمي والتطور التقني (التكنولوجي) تقتضي جميعها استعمال عدد جدّ متزايد من الألفاظ والتعبيرات وتطويرها واستحداثها، ومن هنا كانت الأهمية البالغة للحفاظ على اللغة وقدرتها على مواكبة مسيرة الحضارة، والبقاء في زمرة اللغات الحية، وهو أمر لا يتأتى إلا بتوفير إمكانات الإنجاب والتنمية، شأن اللغة في ذلك شأن ابن آدم نفسه الذي إن أصيب بالعقم باء وباء" (1).

ولكي يتحقق ذلك لابد من وجود وسائل تعمل على رفد اللغة بمفردات جديدة، وتعمل كذلك على المحافظة عليها وتعزيز مكانتها عند أهلها وعند غيرهم من الناس. ومن هذه الوسائل التعريب والتخطيط اللغوي العربي المشترك. ومن هنا كانت هذه الدراسة التي تبحث في الأسباب الدافعة للتعريب ووسائل تعزيزه والتخطيط اللغوي العربي.

الأسباب الدافعة للتعريب

1. أسباب قومية

إن وحدة اللغة سبيل لوحدة الأمة. ذلك أن اللغة "لم تعد مسألة هوية وتماسك مجتمعي وتراث حضاري، ورمز سيادة تاريخية وحاضرة وتحرر من اللغات المهيمنة فحسب، بل أصبحت مسألة تنمية وفكرية واقتصادية تنافسية، باعتبارها رافعة النمو المعرفي المبكر وأداة نقل المعرفة والمعلومات إلى عموم القوى المنتجة، ولسان الإنتاج والإبداع والتواصل المعرفي. وهي أيضاً لسان التنافس في مجتمع اقتصاد المعرفة والمعلومات والاتصال". (2)

فاللغة العربية "هي اللغة البينية الوحيدة التي تمكن من التواصل الشامل في الأقطار العربية كافة" (3). فهي من العناصر الأساسية للوحدة العربية التي هي التعبير الصادق عن كيان الأمة الدائم. فهي تربط أبنائها بأقوى الروابط، إذ تشيع بينهم صلات فكرية عميقة وتجاوباً عاطفياً تاماً، وهي المخزن لكل ما أنتجه العرب من ذخائر الفكر والقيم والعلم.

ومن هنا يصبح التعريب ضرورة قومية تقتضيها المصلحة العليا للأمة العربية، كي ينقل للعربية كل ما يفيد ويعين أبنائها على التقدم ومناقسة الآخرين. ولكن هذا الأمر يتطلب وحدة تعريبية يكون الاتفاق فيها على ألفاظ واحدة تعمم على الوطن العربي ليسهل الفهم على متلقيها حلاً للدراسة في البلاد العربية، وحتى لا يكون فرق في المصطلح بين بلد عربي وآخر.

2. أسباب تعليمية

طَوَالَ قُرُونٍ خَلَتْ وعهودٍ مضت كانت العربية لغة العلم والفن والأدب والرقي، يتفاخر كل من

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

يتكلم بها، ويأتيها طالبو العلم والمعرفة من أوروبا ومن كل مكان ينشدون الخير والمعرفة. لكن أهلها صاروا اليوم ينشدون العلم والمعرفة عند غيرهم، وأضحى إتقان لغة أجنبية مِيزة يسعى لها الكثير من أبناء العربية.

إن العربية لغة متطورة تمتاز بالسعة والقدرة على استيعاب مستجدات العلوم، وهي لغة مرنة طيعة تنقاد بيسر وسهولة بيد مستعملها، فتوصله إلى مبتغاه. ومن هنا فإن تعريب العلوم المختلفة وخاصة على مستوى التعليم العالي أمر هام جداً، يستدعي تضافر الجهود والإحساس العميق عند القائمين على أمر التعليم العالي بضرورته لصون العقل العربي من الغزو الذي يأتيه من كل مكان.

إن تعريب العلوم المختلفة واعتماد اللغة العربية لدراساتها وتدريسها في الجامعات، وخاصة في الكليات العلمية التطبيقية، إلى جانب بعض الكليات الأخرى كالاقتصاد والإدارة، من شأنه أن يعزز مكانة اللغة العربية بين أبنائها وعند غيرهم من الأمم، وأن ينمي الإبداع عند الدارسين العرب، لأنهم بلغتهم يكونون أقدر على التفكير والبحث والتعمق في ضروب العلم الواسعة فيفيدون ويستفيدون ويتحقق للأمة كيان علمي مستقل وحضور بارز على مستوى العالم.

ومن شأن التعريب أن يحقق للأمة مكتبة واسعة من المصادر والمراجع، وأن يختصر على الطلبة العرب جهوداً وأوقاتاً طويلة يقضونها في البحث في القواميس، أو الترجمة عند هذا المترجم أو ذاك إلى جانب خفض كبير في إنفاق. ومن شأن التعريب أن يسهل الامتحانات على المدرس والطالب. فالمدرس لن يكون بحاجة لأن يقضي وقتاً أطول في قراءة ورقة الإجابة، محاولاً تحليل وفهم المفردات الأجنبية التي يخطئ الطالب في كتابتها، كما أن المدرس لن يحتاج أيضاً إلى ترجمة ورقة الامتحان للطلبة. أما الطالب فإنه سيكون أكثر قدرة على استيعاب الامتحان، ولن يكون بحاجة إلى قضاء وقت أطول في ترجمة الأسئلة ثم محاولة الإجابة عنها، وعندها قد لا يتوفر له وقت كاف، فيكون قد خسر مرتين مرة في إضاعة جهده على ترجمة الامتحان، وأخرى في عدم توفر الزمن الكافي للإجابة، فتكون النتيجة ضعفاً في المعرفة وتدنياً

في العلامة.

إن الدعوة إلى تعريب العلوم لا تعني مقاطعة اللغات التي كتبت بها تلك العلوم، أو الانتقاص من قيمتها أو تجاهل دورها في تقدم البشرية، أو القول بعدم الأخذ بأحسنها، فإن ذلك كمن يتراجع القهقري ويضع رأسه في التراب والناس من حوله يتقدمون. ولكنها دعوة لأن تتفر من الأمة طائفة يتفقهون بتلك اللغات ليأخذوا بأحسنها فينقلوه إلى العربية ليتحقق علم أوسع وفهم أكبر، فلأن يتوفر ألف يتقنون تلك اللغات إتقاناً تاماً خير من أن يكون لدينا عشرة آلاف متعلم لها وهم لا يجيدونها أو لا يعرفون منها إلا النزر اليسير، فيكون ضعفهم عبئاً على الأمة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

ويمكن القول إنه بالتعريب يمكن تحقيق الغايات الأربع للتربية التي جاء ذكرها في تقرير منظمة اليونسكو (التعليم ذلك الكنز المكنون) على النحو التالي: (تعلم لتعرف، تعلم لتعمل، تعلم لتكون، تعلم لتشارك الآخرين). فالتعريب بغية المعرفة سيفتح الأبواب مشرعة أمام المواطن العربي لمعرفة ما يدور حوله من إنتاج علمي، يمكن باستثماره الإفادة في تقدم الوطن العربي ورفد اللغة العربية بجديد العلوم والابتكار. وإن التعريب بغية التعلم لتعمل بشكل محفراً للمتعلم العربي لأن يبدع وينجز ويستغل كل الإمكانيات والطاقات البشرية والمادية المتوفرة في بلادنا العربية دون أن يمس من جوهر اللغة العربية ومكانتها.

وأما التعريب بغية التعلم لتكون فإنه يعطي المواطن العربي الفرصة ليقول للآخرين إنه موجود، وإن له وزنه وثقله العلمي الذي لا يمكن لأي كان أن يتجاهله، وهذا بدوره يمنح اللغة العربية مكانة عالية مرموقة. وأما التعريب بغية التعلم لتشارك الآخرين فيتيح للإنسان العربي فرصة الإفادة والاستفادة والتأثر والتأثير وأن يغنى من تجارب الآخرين ويغنيهم من تجاربه.

3. أسباب اقتصادية

للتعريب أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية في عصر تحكمه التكتلات الاقتصادية والتجارة الحرة. حيث غدت اللغة من وسائل القوة الاقتصادية، حتى قيل إن من يستطيع أن يسوق لغته

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

يستطيع أن يسوق منتجاته. فاللغة اليوم تؤدي دوراً رئيساً في اقتصاد المعرفة القائم على استغلال كل شيء لتحقيق الربح المادي.

إن الاشتغال بالتعريب من شأنه أن يفتح فرص عمل كثيرة على مستوى الأفراد والمؤسسات، فيسهم في التخفيف من البطالة في الوطن العربي، ومن شأنه كذلك فتح المجال لإنشاء مراكز متخصصة يكون عملها الوحيد التعريب وإعداد القواميس العلمية المتخصصة والمراجع والكتب، إلى جانب ترجمة المجلات والدوريات المحكمة. وهذا بدوره يخلق سوقاً كبيرة يدخل فيها المترجمون ودور الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني.

ولذلك فإن الاستثمار في التعريب من الروافد الهامة لتشغيل رأس المال العربي في موطنه. ولابد في هذا المجال من استثمار الشبكة العنكبوتية، وذلك ببناء مواقع بحثية عربية تقدم كل الفرص لتحقيق الاقتصاد المعرفي والوصول السريع إلى المعلومات، ولتصبح الدول العربية منتجة ومصدرة لاقتصاد المعرفة والمعلومات والتقنية الحديثة، لا مجرد مستهلك ومستورد. فقد أظهرت التجارب في مجال حوسبة اللغة العربية أنه من المجالات الراضية نظراً للسوق الكبير الذي ينتظرها داخل الوطن العربي وخارجه عند أبنائها المغتربين والمهتمين بهذه اللغة.

4. أسباب ثقافية

إن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة جوهرية ومركزية، فاللغة هي الوسيلة المثلى التي تسلكها الثقافة لإيصال القيم والفكر والتراث من جيل لآخر ومن أمة لأخرى، فهي محور أساسي في عملية التنمية الشاملة المنشودة في البلاد العربية. حيث تؤكد معظم تعريفات مفهوم الثقافة أهمية اللغة، ومنها أنها (نظرية في السلوك تميز جماعة من الناس عن الجماعات الأخرى بما تقوم به من العقائد واللغة والتاريخ والقيم والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والفكر والتجارب) (4).

والثقافة أيضاً دافع إلى الابتكار والإبداع والمقاومة، إذ هي أداة فاعلة في دفع الجور والظلم والدفاع عن الحقوق. فهي إذاً سبب هام للمبدعين العرب ليعتدوا بلغتهم ويذودوا عنها، لأنها الوسيلة الراقية التي تمكنهم من بيان آرائهم ونشرها بوسائل النشر المختلفة للدفاع عن لغتهم

وإظهاراً لجوهرها المشرق وحقيقتها البراقة، وبيان أنها قادرة على أن تكون لغة عالمية للإبداع. وعلى ذلك فإن للثقافة أهمية كبيرة بوصفها محفزاً لتعريب علوم وذخائر الأمم الأخرى واستعمال اللغة العربية في صنوف العلم المختلفة. ويستلزم عند تعريب علوم الآخرين التنبه والحذر عند نقلها وأن يكون المعربون على وعي وثقافة واسعة وإجادة تامة للغة التي ينقلون عنها ليميزوا الخبيث من الطيب فينقلوه.

5. أسباب اجتماعية

للغة دور هام في المحافظة على التماسك الاجتماعي، لأنها تغزل المجتمع في شبكة متداخلة من العلاقات التي تسعى إلى إحداث الوفاق بين الناس. فالمجتمع هو نتاج الخطابات المختلفة التي تموج بداخله حيث يمكن القول إن معظم الممارسات الاجتماعية الفردية أو الجماعية هي ضرب من فنون اللغة. ذلك أن لكل ممارسة اجتماعية ألفاظها الخاصة التي تعبر عن مضامينها ومفاهيم المهتمين بها. ومن هنا فإن تعريب آداب الشعوب الأخرى من شأنه إدخال أفكار ومفاهيم وعادات جديدة إلى المجتمع العربي. ولكن لابد من الحذر والانتباه عند المشتغلين بالتعريب إلى أن يكون ما ينقلونه صالحاً يفيد الناس، ويسهم في تقوية الأمة.

وسائط تعزيز التعريب

السياسة اللغوية الموحدة

إن السياسة الداعمة للغة تمنحها زخماً وقوة كبيرين فتعزز مكانتها محلياً ودولياً، وتمنح أصحابها قوة للإبداع والابتكار. وتأتي أهمية المحفز السياسي لتعزيز التعريب من ظاهرة التكتل السياسي القائم على اللغة المشتركة بين بلدين أو أكثر، تقطنها شعوب ناطقة بذات اللغة. كالتكتل اللغوي - سياسي القائم بين الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وأستراليا الناطقة جميعها باللغة الإنجليزية. حيث تبرز آثار هذا التكتل في التنسيق والتعاون بين تلك الدول في القضايا الدولية. فاللغة من أهم عوامل الوحدة بين الشعب الواحد وإن تعددت دوله، أو باعدت بينه المسافات لأنها

الناقل الحيوي لتراثه وأفكاره المشتركة، وتثير فيه الحنين والشوق إلى أمجاده الماضية.

وتؤدي هذه التكتلات اللغو - سياسية دوراً هاماً وأساسياً في توجيه الأحداث السياسية الدولية، وتتحكم في حركة المعلومات على نطاق العالم. فشبكة المعلومات خير شاهد وأوضح دليل على قوة التكتل اللغو - سياسي الإنجليزي حيث الغالبية العظمى من مواقع الشبكة وصفحاتها ومحركات بحثها باللغة الإنجليزية، وأضحت الإنجليزية بما تلقاه من دعم سياسي واقتصادي وعسكري وإعلامي اللغة الأولى في العالم من حيث الانتشار والاستعمال. ولذلك فإن وجود سياسة تعريبية واحدة من شأنها توحيد الأفكار والعلوم وتسهيل التبادل المعرفي للعلوم المعربة بين الدول العربية.

2. دسترة التعريب

اللغة العربية هي اللغة الرسمية الأولى لاثنتين وعشرين دولة عربية كما نصت عليه دساتيرها، مما يجعلها في المرتبة الثانية من حيث عدد الدول الناطقة بها بعد الإنجليزية التي ينطق بها نحو ثمان وأربعين دولة. ومع ذلك يوجد الكثير من التجاوز على هذا البند، فالكثير من الاتفاقات تكون باللغات الأجنبية. ولذلك وجبت دسترة التعريب بقرار سياسي تتخذه الأمة عبر مؤسساتها التشريعية والتنفيذية لتكون الاتفاقات والمواثيق باللغة العربية أو باللغة العربية واللغة الأخرى اعتزازاً بلغتنا كما يعتز الآخرون بلغتهم.

3. وحدة المعرب

يقصد بالتعريب في الوقت الحاضر "استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاماً وكتابة، دراسة وتديساً، وبحثاً وترجمة وتأليفاً" (5). ولأهميته في نقل العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية، وإثرائها بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية، وإغنائها بفيض من المصطلحات الحديثة اللازمة لنهضة الأمة العلمية، عُقد لأجله العديد من المؤتمرات التي كانت توصياتها وقراراتها تدعو إلى ضرورة التعريب ووحدته ليكون المعرب واحداً في كل الدول العربية فيسهل على المتعلم العربي قراءة النصوص وفهم مصطلحاتها المعربة بسهولة ويسر.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

وللوصول إلى تلك الغاية عقد مجمع اللغة العربية الأردني ندوة حول اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة، تضمنت عدداً من المقترحات منها: "التنسيق بين مجامع اللغة العربية عن طريق إقامة مجمع مركزي واحد له فروع في البلاد العربية أو إقامة اتحاد حقيقي فعال بين هذه المجامع، وإجراء مسح لمصطلحات العلوم في المؤلفات العربية القديمة وتنظيمها في شكل معاجم من أجل الاستفادة منها في عملية التعريب" (6).

وعُقد المؤتمر العاشر للتعريب تحت شعار "قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي" في المدة من 20-25 تموز/ يوليو 2002 في دمشق برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكان من محاور النقاش ضرورة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، وأهمية تبادل المعطيات المصطلحية ونشرها بين الأقطار العربية بواسطة التقنيات الحاسوبية، ودور المصطلح العلمي الموحد في تعريب التعليم العالي. وخرج المؤتمر بعدد من التوصيات منها : مناقشة الدول العربية التي لم تبدأ بعد عملية التعريب في التعليم العالي أو التي لم تستكملها، أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك، ووضع الكتب العلمية في البلاد العربية التي طبقت التعريب بين يدي الجامعات والمؤسسات، والمزيد من التنسيق والتعاون بين المؤسسات المعنية والمهتمة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي، ودعم الصناعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب، كمشروع الذخيرة اللغوية ومشروع المعجم الصحفي العربي المعاصر ومشروع تقييس المصطلح وغيرها من المشروعات المعجمية (7).

إن توحيد التعريب ليس مستحيلاً إذا تعاونت المؤسسات اللغوية ممثلة بمجامع اللغة العربية ومراكز بحثها والجامعات ووسائل الإعلام، بدعم من السلطة السياسية التي توفر الدعم المالي والمعنوي والسياسي. وإن من شأن وحدة التعريب تعميق الروابط بين أبناء اللغة العربية. يقول الباحث والمستشرق الفرنسي كانتينو "إن الاختلاف اللغوي شر والوحدة اللغوية خير عظيم، وإني في حالة العرب خاصة لأفهم كل الفهم وأرى من الحق أن يشعر العرب المتباعدة أقطارهم بحاجتهم إلى لغة واحدة هي رمز وحدتهم الروحية وأن هذه اللغة الموحدة لا يمكن أن تكون سوى

الفصحي" (8).

4. وسائل النشر الإلكتروني

يشهد العالم ثورة هائلة متسارعة في وسائل الاتصال والمعلومات تلزم العرب الاستفادة من التطور في صناعة المعلومات والنشر الإلكتروني لتعزيز التعريب، حيث كان من محاور مؤتمر التعريب العاشر، اللغة العربية وتحديات القرن الجديد والشبكة العربية للمعلومات. وكان من توصياته العمل على نشر الأبحاث والكتب المتبعة على شبكة المعلومات لتعم الفائدة منها.

والى جانب ذلك من الضروري بناء مواقع تعريب متخصصة في الطب والهندسة والاقتصاد وغيرها تشرف عليها هيئات متخصصة في كل علم يعاونهم خبراء في اللغة العربية على دراية قوية باللغة المترجم عنها. وأن تتبع تلك الهيئات إلى جهة مركزية واحدة تتولى تمويلها وتنشيطها كالمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

5. توجيه الفكر

لقد اتخذ الخصوم من ضعفنا قوة لهم فكان أن دخل إلى لغتنا الكثير من الألفاظ الأجنبية التي أصبحت من حصيلتنا اللغوية اليومية. ويكمن خطرهما في أنها لم تقتصر على العوام من الناس بل شملت أهل الفكر والعلم، وخاصة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية، إذ يحلو في عيون كثير منهم استعمال تلك الألفاظ أمام طلبتهم والتباهي في ذلك، وتجنب استعمال اللفظ العربي. ولذلك من الواجب توجيه الفكر العربي إلى أهمية تعزيز التعريب وضرورة استعمال الألفاظ العربية، ويكون ذلك بالطلب إلى المدرسين تجنب اللفظ الأجنبي إذا توفر مقابله العربي، وأن تعقد لذلك دورات تبين أهمية التعريب في التعليم عموماً والعالي خصوصاً.

6. الفن

لفن بأشكاله المختلفة دور في تنمية اللغة ورفدها بمصطلحات وألفاظ جديدة تنتوع بين أسماء فنون مختلفة مثل (الفن التشكيلي، الرقص الإيقاعي) ومفردات تدخل في صميم تلك الفنون مثل

(التمثيل، المسرحية، المسلسل، خشبة المسرح، الفنان، المخرج). وإضافة إلى ذلك فإن للفن دوراً كبيراً في تعزيز التعريب بطريق الإلحاح على استعمال الألفاظ العربية والألفاظ المعربة للفنون الأجنبية، كاستعمال مصطلحات الملهاة والمأساة بدلاً من الكوميديا والتراجيديا على سبيل المثال. فالمثقفون والفنانون العرب يتحملون جزءاً كبيراً من مسؤولية الحفاظ على اللغة العربية إذ لا بد لإنتاجهم القصصي والروائي والغنائي والتمثيلي أن يكون باللغة العربية، وأن يبتعدوا عن اللفظ الأجنبي وأن يكون إنتاجهم كذلك باللغة الفصحى، وأن يبتعدوا عن اللهجات العامية التي تعمق القطرية وتعيق نشر اللغة الواحدة بين أبناء الأمة.

7. الإعلام

تؤدي اللغة دوراً هاماً في وسائل الإعلام، حيث يمكن القول إن السلوكيات اللغوية الفردية والجماعية هي نتاج مباشر لما يبثه الإعلام من رسائل لغوية تدخل إلى عقل المتلقي الصغير والكبير. فالإعلام من أكثر محفزات اللغة فعالية وأثراً وقدرة على إيصال اللفظ والنطق السليمين إلى أبناء العربية وخاصة النشء الصغير. وهو يساهم كثيراً في تنقية العربية من الألفاظ الأجنبية الدخيلة باستعماله الألفاظ العربية البديلة استعمالاً متكرراً لترسخ في الرصيد اللغوي للمواطن العربي.

والإعلام محفز قوي للتعريب حيث تنبع أهميته أيضاً من النقلة النوعية والكمية في مفهوم الإعلام، الذي أصبح إعلاماً تواصلياً يخاطب المواطن أينما حل. فالمحفز الإعلامي يعطي الدول العربية - إن هي أحسنت استعماله - وسيلة عظيمة لمقاومة التدخلات الخارجية من أفكار وإشاعات معدة سلفاً للإساءة إلى الأمة ولغتها، ويساهم في توحيدها.

ويؤدي الإعلام دوراً جوهرياً في تعزيز التعريب بتركيزه على القيم والثقافة العربية الأصيلة والألفاظ العربية البديلة للمصطلحات الأجنبية، وهذا الأمر يستلزم وحدة إعلامية عربية تضع نصب عينيها تعزيز التعريب ونشر المعرب من الألفاظ. وفي هذا السياق لابد من مراقبة البرامج لتتقنتها من الدخيل اللفظي الأجنبي.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

1. تنمية الموارد البشرية العربية المتخصصة في التعريب.
2. تعزيز التنمية العلمية المتطورة واستعمال التقنيات الحديثة ذات العلاقة باللغة وتأصيلها في الوطن العربي.
3. تحقيق الوحدة المصطلحية العربية وجعلها محوراً أساسياً من محاور التعليم والإفادة من وسائل الاتصال الحديثة في نشرها.
4. دعم الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز العلمية المهمة بالتعريب، سواء أكانت خاصة أم عامة ورفدها بالأطر العربية المؤهلة.
5. تشجيع البحوث والدراسات التي تساهم في تعزيز التعريب.
6. تعميم التجارب العربية في مجال التعريب.

8. توحيد الرؤى

إذا أردنا الوصول إلى تعريب موحد يضمن اللغة العربية وأهلها السلامة والسير بخطاً ثابتة في عصر المعلومات والتقدم الهائل الذي لا يترك للضعيف المتكاسل مجالاً، فلا بد من توحيد الرؤى والجهود بين القائمين على شأن التعريب والجامعات والمجامع والمؤسسات اللغوية، للوصول إلى قوائم مشتركة فيما يتعلق بتوحيد المصطلحات لاستعمالها في كل البلاد العربية.

"فرنسا تمثل أنموذجاً جيداً في هذه المضمار فهي تبدي اهتماماً بالغاً بحماية لغتها ودعم مكانتها في إطار المتغيرات العلمية المعاصرة. وعلى الرغم من وجود المئات من المؤسسات المتخصصة في جوانب لغة محددة فإن القرار السياسي في التخطيط اللغوي يصدر عن اللجنة العليا للغة الفرنسية التابعة لمجلس الوزراء، وتتعاون المؤسسات المختلفة في وضع هذه الاتجاهات ووضع البحث والتنفيذ والتقييم. وعن اللجنة العليا للغة الفرنسية تكونت الجمعية الفرنسية لعلم المصطلح عام 1975 كي تتسق الأعمال التي تقوم بها الجمعية الفرنسية لتوحيد المصطلحات ولجنة دراسات المصطلح التقنية الفرنسية، ومركز دراسة اللغة الفرنسية الحديثة

والمعاصرة وكل هذه المؤسسات تُعنى بقضايا اللغة وترشد بعملها السلطة العليا في الدولة لاتخاذ القرارات المناسبة" (9).

وسائط تعزيز التخطيط اللغوي العربي

اللغة العربية من أسس وحدة الأمة، وربط أهلها بعضهم ببعض، فهي الناقل الأمين لذخائر تراثهم ووسيلة الاتصال الفاعلة بين أبنائها، مما جعلها هدفاً مقصوداً للعادين المتربصين بها وبأهلها، والمتكالبين عليها وعليهم من كل حذب وصوب.

واللغة عموماً ظاهرة اجتماعية تربط أفراد المجتمع الإنساني بعضهم ببعض، وتفرض سيطرتها وتحكمها في أنماط سلوكهم وتفكيرهم. "وللغة في المجتمع أهمية كبيرة في حالتي السلم والحرب. فهي في حالة السلم تجمع أبناءها والناطقين بها فكراً وحضارة وثقافة واتصالاً وتعاملاً، فهي وسيلتهم في الاتصال والتعليم والثقافة وإنتاج الفهم والفلسفة والأدب. وأما في حالة الحرب فهي سلاح فتاك لا يقل أثره عن القنابل والمدافع في مجالات الإعلام والتحفيز والتحريض والدفاع ونشر الدعاية في صفوف الجبهة المقابلة" (10).

وتبرز أهمية اللغة كذلك من اهتمام الدول الاستعمارية في فرض ثقافتها ولغتها على أبناء الشعوب المستعمرة، ورغبتها الجادة والحثيثة في طمس اللغات الوطنية، وفرض لغتها عليها، فبذلت لذلك الأموال الطائلة والجهود الهائلة، كما في القارة السمراء التي حلت فيها الفرنسية والإنجليزية لغات رسمية ووطنية، وأمريكا الجنوبية التي دهمتها الإسبانية والبرتغالية.

لذا كان لا بد من الاهتمام الجاد باللغة القومية لأنها تربط حاضر الأمة بماضيها ومستقبلها ذلك أنه متى انقطعت الأمة عن ماضيها، لم يعد لها في حاضرها ومستقبلها ما تفاخر به أو تستند إليه من إرث حضاري يبعث الهمة في نفوس أبنائها، ويجعلها تمتاز عن غيرها من الأمم. ومن هنا يأتي هذا الجزء من الدراسة للبحث في مقومات ووسائط تعزيز التخطيط اللغوي العربي.

1. مؤسسة التخطيط اللغوي العربي

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

لا بد من وجود تخطيط لغوي عربي مؤسسي موحد على نطاق المؤسسات والمراكز البحثية واللغوية والجامعات. وأن يكون تخطيطاً شاملاً، لا جزئياً في مجال التعليم على اختلاف مراحله فحسب، بل أيضاً على نطاق الإعلام ووسائله والإدارة وأجهزتها وعلى نطاق الاتحادات والنقابات التي ينضوي تحتها الأدباء والمفكرون والمعلمون والمهندسون وأرباب الصنائع المختلفة.

وقد صدر في العديد من الدول العربية قوانين وقرارات دعت إلى العمل على سلامة اللغة العربية "كقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية رقم (74) الصادر في العراق عام 1977، والقرارات الصادرة في تونس وليبيا وقانون التعريب في الجزائر" (11).

إن كل هذه القرارات والدعوات تحمل في طياتها الخير، ولكنها تبقى محاولات مجزوءة ومحدودة الأثر، لأن هذه الأمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منها بلد تداعى له باقي البلدان بالسهر والحمى، مما يوجب أن تكون سياسة التخطيط اللغوي العربي وحماية اللغة العربية مؤسسة عربية.

ولا يتحقق الغرض المنشود من التخطيط اللغوي إذا لم تسر اللغة وجهود إصلاحها سيراً متوازياً في كل مجالات الحياة العلمية والأدبية واليومية، وعلى الجميع ممارستها في وسائل الإعلام والنشر وقاعات الدرس وفي البيت والسوق ومكاتب الدوائر الرسمية.

والتجارب الأوربية في دعم اللغة الوطنية في ميادين الحياة المختلفة كالتعليم والإدارة والإعلام كثيرة، إذ صدرت القوانين التي تؤكد أهمية اللغة الوطنية كما في فرنسا التي شرعت القوانين المؤكدة ضرورة حماية اللغة الفرنسية واستعمالها في الإعلان واعتماد الأسماء الفرنسية في تسمية الأبناء دون غيرها من الأسماء.

إن الاهتمام بالسياسة اللغوية العربية الموحدة والتخطيط اللغوي المشترك يظهر في العديد من مؤتمرات الأطباء والجامعيين واجتماعات الخبراء التي تعقد على مستوى الوطن العربي. ولا بد من الدعوة الجادة إلى اعتماد اللغة العربية لغةً تدريس في كليات الطب والهندسة والعلوم الحديثة

مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية اللغات الأخرى وضرورة الإلمام بها لزيادة المنفعة وتوسعة المدارك والأذهان.

2. تشريع التخطيط اللغوي العربي

ويعني ضرورة قيام الدول العربية بوضع التشريعات التي تحقق التخطيط اللغوي العربي والتي تضمن حماية اللغة العربية، على غرار ما قامت به الدول المتقدمة من وضع التشريعات والقوانين الحامية للغتها، حتى تسلم من الأخطاء ومخالفة الضوابط والقواعد مثل "ميثاق اللغة الفرنسية في كندا" ⁽¹²⁾ وقانون "لزوم الفرنسية" الذي أصدرته فرنسا عام 1994 حيث يحظر على الفرنسيين أن يستعملوا أي لغة أجنبية في خطابهم العام، مشيراً إلى الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية والأفلام الدعائية كافة، التي تبث من الإذاعة والتلفزة والمحلات التجارية والشركات العاملة على الأرض الفرنسية ⁽¹³⁾.

3. تعميم الفصحى الميسرة

يجب أن نتاح للغة الفصحى حقوقها وفرصها في الانتشار عربياً بفضل تخطيط لغوي منظم يدرك متغيرات الحياة ويكون قادراً على استغلال التقنيات الحديثة في تعميم اللغة الفصيحة. وأن يتمتع المواطن بحقوقه اللغوية كاملة وفقاً للقرارات والمواثيق والتوصيات الدولية. وأن ينسق وينظم عمل المؤسسات المعنية باللغة وخطاب الناس، ولا سيما الإعلام بوسائله والتعليم بمناهجه وطرائقه، لتكون الفصحى الميسرة لغة الحياة في كل ميادينها. فالمطلوب إذاً الاهتمام الخاص باللغة الفصحى وفرض الالتزام بها تدريساً وتحدثاً وكتابةً في الجامعات والمدارس ومؤسسات الدولة المختلفة، وإعلاناً في الإعلام ولافتات المحلات التجارية، وذلك بقرار قومي مخطط تتخذه الأمة.

إن نشر الفصحى لا يكون إلا ببذل الجهود العربية الموحدة، كتسهيل انتقال أبناء العربية بين أقطارهم، وإشاعة التواصل الاجتماعي والثقافي وإقامة المهرجانات والندوات والمؤتمرات والعمل على تحويل قراراتها وتوصياتها إلى واقع، وتعزيز التعليم باللغة الفصحى عن طريق إقامة

المسابقات وتقديم الجوائز والحوافز للأفراد والجماعات، ووضع البرامج التي تسهل انتشارها. وهنا لا بد من استثمار وسائل التقنية الحديثة والإعلام وتوجيه برامجها إلى اعتماد اللغة الفصحى، ولا بد من تسخير الفن لتعزيز الفصحى. فالمثقفون والفنانون العرب يتحملون جزءاً كبيراً من مسؤولية الحفاظ على اللغة العربية وأمنها. إذ على إنتاجهم القصصي والروائي والغنائي والتمثيلي أن يكون بالفصحى، وأن يبتعدوا عن اللهجات العامية التي تعمق القطرية وتعيق نشر اللغة المشتركة بين أبناء الأمة.

4. عولمة اللغة العربية

إن العربية لغة متطورة تمتاز بالسعة والقدرة على استيعاب مستجدات العلوم، وهي لغة مرنة طيّعة تنقاد ببسر وسهولة بيد مستعملها فتوصله إلى مبتغاه. ومن هنا كان لا بد للغة العربية من حضورها البارز بين لغات العالم فكان "أن اعتمدت منظمة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات ومؤسسات ووكالات اللغة العربية جزءاً من (لغات العمل) التي بدأت بها الأمم المتحدة عملها عام 1945 وهي الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والإسبانية. وكانت الموافقة على اعتماد اللغة العربية بين تلك اللغات في القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثامنة والعشرين لعام 1973. وهكذا دخلت اللغة العربية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجانها السبع الرئيسية بدءاً من شهر يناير "كانون ثاني" 1973 لتصبح لغة عالمية رسمية في كل المداولات، وواحدة من اللغات التي يُترجم إليها ما يجري من قرارات ونقاشات" (14). واللغة العربية هي اللغة الرسمية لجامعة الدول العربية والمنظمات المنبثقة عنها. وهي لغة رئيسة في منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

وهذا غير كاف إذ على العرب السعي الجاد والتخطيط المنظم والموحد لرفع مكانة لغتهم، وأن تكون لغة أبنائها لا غيرها في المحافل الدولية، وأن تُبذل الجهود الحثيثة لبناء المراكز البحثية التي تتولى نشرها وتعزز مكانتها عالمياً، وخاصة في الدول الغربية لتعزيز الاتصال والتفاهم معها، ولنقل صورة سليمة وواضحة عن اللغة وأهلها. ومن المفيد أيضاً توفير المجال للطلبة من

الدول الغربية لدراسة اللغة العربية في بلادنا على نطاق واسع وبأساليب حديثة ليكون هؤلاء شهوداً من أهلهم على عظم هذه الأمة ولغتها وليكونوا داعين لها لا عليها. وإن من وسائل عولمة العربية تعليمها للوافدين على أقطارها للعمل، وذلك بتخطيط لغوي مؤسسي مشرّع يلزم المؤسسات التي يعملون فيها بذلك، وذلك بعقد الدورات التي تساهم في إيصال قواعد اللغة العربية وطريقة نطق أصواتها إليهم ليغدوا في قادم الأيام سفراء للغة العربية من غير أهلها. وأن يجري إعداد المدرسين المؤهلين لتعليم العربية لغير الناطقين بها.

ومن وسائل عولمة اللغة العربية النشر المخطط للثقافة واللغة العربية للناطقين بغيرها في العالم، وذلك بالتعاون والتنسيق المشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والسفارات العربية وملحقياتها الثقافية. وعقد المؤتمرات والندوات والدورات الدراسية والحلقات العلمية، ودعم الجامعات والمراكز العلمية المتخصصة في اللغة العربية وتزويدها بالمناهج والتقنيات والكتب والمنشورات العربية ورفدها بالأطر العربية المؤهلة.

5. تعلم اللغات الأجنبية

من وسائل تعزيز التخطيط اللغوي العربي الاطلاع على تجارب الأمم الأخرى في تخطيطها اللغوي. وإن من أقوى الوسائل لمعرفة ذلك تعلم لغات تلك الشعوب ليسهل التبادل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي. وتبرز هنا بعض الأسئلة في مقدمتها: ما الهدف من تعليم اللغات الأجنبية؟ متى يبدأ تعلمها؟ ما هي اللغات التي يجب تعلمها؟ هل يكون تعلمها إجبارياً أم اختيارياً؟

إن نظرة سريعة إلى اللغات الأجنبية التي تدرس في البلاد العربية تظهر اختلافاً واضحاً في المرحلة التي تدرس فيها تلك اللغة. فبعض الدول تدرس اللغة الأجنبية من الصف الأول، وبعضها من الصف الخامس وأخرى من الصف السابع. ويلاحظ أيضاً أن تعليم اللغات الأجنبية في المدارس يقتصر أساساً على اللغة الإنجليزية والفرنسية. وفي المرحلة الجامعية يتوسع قليلاً ليشمل لغات أخرى كالألمانية والروسية والإسبانية. ويلاحظ من ذلك أن التركيز في تعليم اللغة الأجنبية في البلاد العربية قد ارتبط إلى حد بعيد بلغة المستعمر، حيث تدرس الإنجليزية في

البلاد التي خضعت للاستعمار الإنجليزي والفرنسية في البلاد التي تولاها الاستعمار الفرنسي. ومما يلاحظ كذلك أن تعليم تلك اللغات إلزامي. وإن من المعروف أن النفس تضيق بما هو مفروض عليها تعلمه. ولذلك فإن من الأنسب جعل تعلم تلك اللغات اختيارياً، فلأن يتوفر ألف يتقنون تلك اللغات إتقاناً تاماً خير من أن يكون لدينا عشرة آلاف متعلم لها وهم لا يجيدونها أو لا يعرفون منها إلا النزر اليسير فيكون ضعفهم عبئاً على الأمة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. وهذه دعوة لأن تنفر من الأمة طائفة يتفقهون بتلك اللغات ليأخذوا بأحسنها فينقلوه إلى العربية ليتحقق علم أوسع وفهم أكبر. ولا يكون ذلك إلا بتخطيط لغوي عربي منسق يتفق فيه على اللغات التي تُعَلَّم ومراحل تعلمها وكيفية تعلمها. وأن يتولى تعليمها مختصون ذوو قدرة عالية، وخاصة في اللفظ الصحيح لمفردات تلك اللغات، وأن يكونوا ذوي دراية بثقافة أصحاب تلك اللغة. وأن تستغل التقنية الحديثة في تعلمها. ومما يجب التخطيط له الالتفات إلى تعلم لغات الشعوب المسلمة التي تشكل سندا لهذه الأمة كاللغة التركية والمالوية والسواحلية والأردية وغيرها، ويكون ذلك بإرسال البعثات الطلابية إلى بلاد تلك اللغات واستقدام المختصين من أهلها إلى بلادنا.

6. تخطيط الترجمة

للترجمة دور حيوي في نقل المعرفة الإنسانية، وهي في ذات الوقت أداة جد خطيرة لأن المترجم يجب أن يكون أميناً، فلا يجوز أن تكون الترجمة وسيلة للكسب المادي حتى لا يترجم الغث والسمين من نتاج الأمم الأخرى بل لابد من التحري الدقيق لما ينفع الناس فينقل. وللترجمة أهمية كبرى في تنمية اللغة ورفدها بالكثير من المصطلحات والألفاظ والتجارب الإنسانية والأفكار الخلاقة التي تُعمل الفكر فتحفز الإنتاجية وتعزز التقدم. ولذلك عُيِّنَت الأمم المتقدمة بالترجمة وعدُّتها وسيلة رائدة يمكن بها رفد اللغة بالكثير من الألفاظ والمصطلحات والمحافظة على كيائها ومكانتها بين اللغات. ووصلت عنايتها بها إلى العمل الدؤوب من أجل ترجمة كل كتاب ذي قيمة يصدر حديثاً لكي تصبح اللغة المترجم إليها مستودعاً لفكر العالم وعلوم العصر. وقامت فيها مراكز مختصة بنقل كل جديد لتكون اللغة المترجم إليها مستودعاً

كبيراً لذخائر الأمم الأخرى.

والترجمة من الوسائط اللغوية الهامة التي يجب أن تحظى بالتخطيط والعناية الفائقة والاهتمام الكبير من القائمين على شأن اللغة العربية، إذ يمكن بها تعزيز التطور العلمي للأمة وتوسيع آفاق البحث عند أبنائها، مما يحقق للأمة تنمية لغوية واسعة وتقدماً يحقق لها مكانة بين الأمم.

وإن المرء ليشعر بالأسى عندما يرى أن الوطن العربي بثرواته المالية والبشرية الكبيرة يقف في مرتبة متدنية من حيث الترجمة والإنتاج العلمي، فهو مستهلك لا منتج لكثير من المعارف والصناعات. فوجود مراكز ترجمة هنا وهناك يشقت الوقت والجهد ولا يمكنها أن تساهم في إحداث حركة ترجمة قوية تقيد الأمة من محيطها إلى خليجها. فعصور الازدهار العربي كان للترجمة فيها دور كبير وما عهد المأمون ببعيد حتى ينسى.

ومع ذلك فالأمل موجود، ومن ذلك مشاريع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لوضع خطة قومية للترجمة وإنشاء المؤسسة العربية للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، والمعهد العالي للترجمة. وإن من الإسهامات المتميزة في مجال رعاية الترجمة مجلة "الثقافة العالمية" التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت وهي أبرز مطبوعة في بابها في الوطن العربي من حيث المستوى وانتظام الصدور وحجم التوزيع. وإلى ذلك لا بد من عقد مؤتمرات الترجمة لتتضافر الجهود وتنسق وتتبادل الأفكار.

والترجمة إلى اللغة العربية بحاجة كذلك إلى القرار السياسي الذي يعي أهمية نقل المعارف المفيدة الموجودة عند الشعوب الأخرى، وتحتاج أيضاً إلى التشريعات القانونية التي تنظم عمل القائمين عليها، وإلى الدعم المالي السخي الذي يحفزهم ويعزز إنتاجهم. وهي بحاجة أيضاً إلى تنسيق وتوحيد الجهود بين المؤسسات المهتمة بها على نطاق الدول العربية وحاضنتهم الجامعة العربية، من طريق مؤسساتها التي تعنى بالترجمة والتعريب.

7. الإعلام

للإعلام تأثير كبير في كل مناحي الحياة وفي مقدماتها اللغة. ذلك أنه كلما تطورت وسائل

الإعلام وتعددت طرق نقل المعلومات ازدادت أهميته للفرد والجماعة. ويمكن القول إن السلوكيات اللغوية الفردية والجماعية هي نتاج مباشر لما تبثه وسائل الإعلام من رسائل لغوية تدخل إلى كل بيت، حيث يمكنها الوصول بسهولة ويسر إلى عقل المتلقي الصغير والكبير على حد سواء وأن تثبت حضورها في رصيده اللغوي.

والإعلام من أكثر المحفزات أثراً في التخطيط اللغوي العربي ورفد اللغة بألفاظ وتعبيرات جديدة ومن أشد الوسائل فعالية في إيصال اللفظ والنطق السليمين إلى أبناء العربية وخاصة النشء الصغير. كما يساهم في تهذيب اللغة العربية وتنقيتها من الألفاظ الأجنبية الدخيلة، وذلك باستعماله المنظم والمخطط للمفردات العربية البديلة استعمالاً متكرراً لتترسخ في ذهن المواطن العربي. وفي هذا المجال فإن من المناسب لتوسعة التخطيط اللغوي العربي إنشاء قنوات فضائية متخصصة في تعليم فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها، وطرائق التخطيط اللغوي الممنهج يشرف عليها مختصون أكفاء. ويشمل التخطيط اللغوي الإعلامي العربي حسن اختيار أسماء المحطات الفضائية والصحف والمجلات والبرامج المختلفة.

والى ذلك لا بد من استثمار الشبكة العنكبوتية الدولية "الإنترنت" وذلك ببناء مواقع بحثية عربية تقدم كل الفرص لتحقيق الاقتصاد المعرفي والوصول السريع إلى المعلومات، وتصبح الدول العربية منتجة ومصدرة لاقتصاد المعرفة والمعلومات والتقنية الحديثة، لا مجرد مستهلك ومستورد. فقد أظهرت التجارب في مجال حوسبة اللغة العربية أنه مجال رابح نظراً للسوق الكبير الذي ينتظره داخل الوطن العربي وخارجه عند أبنائه المغتربين والمهتمين بهذه اللغة.

الخاتمة

في العصر الحديث كانت الهجمة الاستعمارية الشرسة على الوطن العربي لنهب خيراتهِ فعملت على إقامة الحدود المصطنعة بين أقطاره وغرست بذور الخلاف بين أبنائه وعززت مفهوم القطرية الضيق والتعصب للبلد الواحد دون الأمة. وكانت اللغة العربية أكثر الأهداف عُرضة للتعدي، فبُذلت جهود وأموال كثيرة للانتقاص من قدرها، وعمل المستعمر على تعزيز لغته في

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

جسم هذا الوطن المكلوم، الذي ما يزال عرضة لهجوم من كبر أو صغر حجمه من الأعداء وما ذاك إلا لضعف اعترائنا ولفرقه أَلمت بنا. لكل هذا كان لا بد من الاهتمام الكبير بالتعريب والتخطيط اللغوي العربي لأنهما من أشد عوامل وحدة الأمة. ويكون الاهتمام بهما بالتعاون والتنسيق العربيين في مجالات عدة أهمها: التعليم والإعلام والترجمة واقتصاد المعرفة وصولاً إلى وحدة في تعريب المصطلحات والمفاهيم.

واللغة العربية بحاجة كذلك إلى سياسة لغوية موحدة تشمل الوطن العربي، تشرف عليها الجامعة العربية وهيئاتها التي تعنى بالتعريب والتخطيط اللغوي والجامعات ومراكز البحث العلمي العربية لتحقيق وحدة لغوية تجمع ولا تفرق، وإلى تخطيط لغوي ينظم ولا يشتت.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

الهوامش

1. د. جلال شوقي، المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد المزدوج (43-42)، السنة السادسة عشرة (كانون الثاني - كانون الأول 1993م)، 11.
2. عبد القادر الفاسي الفهري، صحيفة القدس العربي، السنة 17، العدد 5013، 2005/7/8م، عن موقع الصحيفة الإلكتروني.
3. عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع نفسه.
4. د. أحمد نوفل وآخرون، في الثقافة الإسلامية (عمّان: دار عمّار للنشر والتوزيع، 1990)، 8.
5. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثاني (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، 1984)، 9.
6. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الأول (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، 1983)، 158.
7. موقع: مفكرة الإسلام الإلكتروني.
8. د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978)، 131.
9. عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع المذكور.
10. د. زهير غازي زاهد، العربية والأمن اللغوي (عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2000)، 16.
11. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الأول (عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، 1983)، 158.
12. عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع المذكور.
13. أ. د. طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، العدد 69 (قطر: 1420 هـ)، 23.
14. د. زهير غازي زاهد، المرجع المذكور، 24.

المراجع

1. أنيس، إبراهيم. من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، 1978م.
2. زاهد، زهير غازي. العربية والأمن اللغوي، عمّان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2000م.
3. د. جلال شوقي، "المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد المزدوج 43-42)، 1993.
4. عبد الرحمن، طالب. نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، العدد 69، قطر، 1420هـ.
5. الفهري، عبد القادر الفاسي، صحيفة القدس العربي، السنة 17، العدد 5013، 2005/7/8م. موقع صحيفة القدس العربي www.alquds.co.uk
6. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الثاني، عمّان، ط 1، 1984م.
7. مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي الأول، عمّان، ط 1، 1983م.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

8. موقع مفكرة الإسلام، www.islammemo.cc.

9. د. نوفل، أحمد وآخرون، في الثقافة الإسلامية (عمّان: دار عمّار للنشر والتوزيع، 1990).

بحوث في الترجمة

التحريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

الترجمة جسر تواصل بين الشعوب والحضارات

أ. شحادة خوري

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

رئيس اتحاد المترجمين العرب

المقدمة

لقد كانت الترجمة، على مدى التاريخ، الجسر الممدود بين بني البشر، يؤكد تفاعلهم وتكاملهم في مسيرة الحياة الإنسانية، وفي تعاملهم مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، تفاعلاً وتعاوناً، تأثيراً وتأثراً، تلاقياً وحواراً، وفي إنجازاتهم فيها تكيفاً وتجاوزاً.

إن الترجمة كانت وستبقى حاجة أساسية ودائمة مادام البشر يتكلمون ويكتبون بلغات مختلفة. إنها قديمة قدم الجماعات الإنسانية إذ كانت الوسيلة التي تتصل بها كل جماعة بالجماعات الأخرى. والإنسان مُدٌ وجد يسعى للاتصال بالآخر والتخاطب معه بدافع فطرته للتواصل مع بني جنسه ومع الآخرين، طلباً لأسباب العيش والتماس العون، فكانت الترجمة سبيله لذلك التواصل وهذا التعامل، في أيام السلام كما في أيام الخصام على السواء، إذ تغدو آنئذٍ أداة لجلب الوثام ودعمه وإحلال المودة والتفاهم بين الجماعات المختلفة لساناً وثقافةً.

لقد دلت التنقيبات الأثرية في بلاد مصر والرافدين والشام على أن الترجمة كانت قائمة لدى حكام هذه البلدان، لفهم الرسائل التي كانوا يتبادلونها خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وكان قياصرة الروم وأكاسرة الفرس يتخذون في دواوينهم ترجمة.

تعريف الترجمة

تعني الترجمة في لسان العرب لابن منظور، نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والشخص المترجم يسمى المترجمان، وهو الذي يفسر الكلام.

وفي القاموس المحيط للفيروزآبادي: المترجمان هو المفسر ويقال ترجمه وترجم عنه.

وفي القاموس الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة "الوسيط": ترجم كلام غيره أو عن غيره: نقله من لغة إلى أخرى، والتَّرجُمان أو التَّرجُمان هو المترجم ويُجمع على تراجم وتراجمة.

ولعل التعريف التالي يقدم الدلالة كاملةً: الترجمة نقل للتعبير الإنساني سواء أكان مكتوباً أو منطوقاً من لغة إلى أخرى، دون المساس بالأفكار ودون إضافة أو حذف أو تحوير.

الترجمة إذاً جسر التواصل، جسر لغوي يصل فرداً بفرد وشعباً بشعب، فيتعرف كل منهما الآخر، والمعرفة حبل يجمع ولا يفرق، فيكف كل منهما عن أذية الآخر، بل تتعقد بين المنقول عنه والمنقول إليه صلة صداقة ومودة وألفة، تتبدى في لقاء إنساني وحوار ثقافي يتحول إلى تبادل تجاري وثقافي قائم على مصلحة مشتركة، ويكون سبباً في انتفاء الصراع والنزاع وإقامة الوئام والسلام بينهما.

الوقائع التاريخية

ونود أن نشير إلى وقائع تاريخية كبرى ثلاث، كانت الترجمة فيها بحق إثراء للثقافة ودعماً لحوار حضاري خصب وفعال:

أ. الأولى: ما قام به العرب من ترجمة واسعة في القرنين الثامن والتاسع للميلاد، للمعارف التي وصلت إليها الأمم التي سبقتهم في الزمن. ولم يشبه عملهم هذا من قبل، إلا ترجمات قليلة مثل ترجمة اندينيوس الأوديسة لهوميروس من الإغريقية إلى اللاتينية، وترجمة العهد القديم السبعينية من العبرية والآرامية إلى اليونانية في الإسكندرية، بطلب من بطليموس فيلادلفوس عام 285 ق. م، وترجمة كليلة ودمنة من السنسكريتية إلى الفارسية.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

لقد تنبّه العرب المسلمون بعد الفتوح وبناء الدولة، إلى دور الترجمة وأهميتها في نقل معارف السابقين والإفادة منها، فقاموا بحركة ترجمة تميزت بأمرين:

- تنظيمها: بدأت غي عهد بني أمية بفضل خالد بن يزيد بن معاوية، ثم نشطت في عهد الدولة العباسية، وصارت منشطاً حكومياً ترعاه الدولة وتتفق عليه بسخاء: أنشأ المنصور ديواناً للترجمة فوسعه الرشيد، ثم أقام المأمون بيت الحكمة الذي كان بمثابة مجمع علمي ومرصد فكري ومكتبة ودار ترجمة.

- اتساعها: ترجم العرب عن الهندية والفارسية والسريانية والنبطية، ولكن المصدر الأساسي كان اليونانية. ويذكر ابن النديم في كتاب "الفهرست" نحواً من أربعمئة كتاب نقلها العرب عن اليونانية وحدها منها (114) كتاباً في الفلسفة و(123) كتاباً في الرياضيات و(149) كتاباً في الطب... إلخ وكان من أشهر من ترجمت كتبهم أرسطو (المعلم الأول) وأفلاطون وبطليموس وأبوقراط وجالينوس... إلخ وقد شارك في هذه الترجمات العرب والسريان من نساطرة ويعاقبة، وأشهرهم يعقوب بن إسحق الكندي، وحنين بن إسحق، وإسحق بن حنين ويوحنا بن ماسويه وبختيشوع بن جرجيس وابنه جبرائيل وثابت بن قرة الحراني. وترجم من الفارسية آل نوبخت وابن المقفع، ومن الهندية منكاهندي وعن النبطية ابن وحشية... إلخ. ومما كان الفكر اليوناني قد وصل إليه، بعد أن اقتبس من الثقافات والعلوم الشرقية في بلاد الرافدين والشام ومصر ما اقتبس، انطلق المفكرون والعلماء، على اختلاف أصولهم وأديانهم ومذاهبهم، وهم في عيش مشترك في دار السلام، بحثاً وتجريباً وتأليفاً واستنباطاً وكشفاً وإبداعاً، مدة ستة قرون (750-1350م) كانوا فيها من رواد العلم والمعرفة وأرباب الثقافة والحضارة في العالم.

ب. الثانية: ما قام به الغربيون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بخاصة، من نقل علوم العرب ومعارفهم إلى لغاتهم، ذلك أنه في زمن ازدهار المعارف عند العرب، كان الغرب في جهل مطبق.

وعندما نشئت العرب دويلات وممالك وإمارات متناذرة دبّ الضعف فيهم، وتنبه الغرب وخرج من سباته وأقبل على معارف العرب والمسلمين ينقلها إلى لغاته.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

تسربت الثقافة العربية إلى الغرب من سورية ومصر إبان حروب الفرنجة، ثم من صقلية وجنوبي إيطاليا ومن الأندلس. ففي طليطلة نشأت مدرسة للنقل، ومن رواد أهم مترجميها اديلارد وروجر وموزلي الإنكليز. ثم انتقلت الحركة إلى برشلونة وببلونة في إسبانيا وتولوز بفرنسا. ولعل جيرارد الكريموني وجيرير الأفيرني كانا أشهر المترجمين. وهكذا ترجمت أعمال جابر بن حيان وابن سينا وابن رشد وابن زهر الأندلسي والرازي...الخ.

وهكذا جاءت بداية نهضة الأوروبيين في أعقاب اطلاعهم على التراث العربي الفكري والعلمي الذي أعجبوا به أي إعجاب فراحوا ينهلون من معينه. وحسبنا في هذا المجال قول غارودي: "إن الحضارة العربية الإسلامية قد أغنت الإنسانية خلال ألف من الأعوام وهيأتها للمستقبل" ...

ج. الثالثة: من 1805-1945 وبعد غفوة طويلة استيقظ العرب في مطلع القرن التاسع عشر وأرسى محمد علي حاكم مصر، أساس النهضة عندما افتتح مدارس للطب والطب البيطري والهندسة والزراعة والصناعات والإدارة والفنون، وأصدر جريدة "الوقائع المصرية" ومدرسة خاصة بالترجمة "دار الألسن". عندئذ نشأت حركة ترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وشملت هذه الحركة العلوم والمعارف بأنواعها المختلفة. وكان من رواد المترجمين محمد علي البقلي ومحمد الشافعي وعلي رياض ومحمد الدري ومحمد ندى ومحمد البسيوني، وكلهم جمعوا بين الترجمة والتأليف، وكان رائدهم محمد رفاعة رافع الطهطاوي الذي ترك أثراً بيناً في النهضة الفكرية المصرية والعربية. ولكن الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي كانا بالمرصاد. فبعد احتلال الإنكليز مصر عملوا على إحباط حركة الترجمة والتعريب وإحلال لغتهم في كل مجال. وبعد احتلال الفرنسيين بلدان المغرب العربي سلكوا سياسة الدمج والفرنسة مما دعا أهلها إلى مقاومة هذه السياسة الجائرة. وحسبنا ما قامت به جامعة الزيتونة العريقة بتونس ومدرستا الصادقية والخلدونية، من رفض للتبعية الثقافية وحماية للغة والتراث العربيين، وما قامت به جامعة القرويين في المغرب، ومقاومة الجزائريين للفرنسة والتمسك بالهوية الوطنية.

وفي هذه الوقائع التاريخية الكبرى الثلاث ثبت أن للترجمة دوراً مهماً في إغناء الثقافات ذلك

أنه عندما تتصل ثقافة بأخرى بطرق مختلفة في مقدمتها الترجمة، تتلاقحان وتتأثر كل منهما بالأخرى وتقبس اللاحقة منهما من السابقة فتتولد ثقافة جديدة أغنى من سابقتها.

إن الثقافة التي تمثل الجانب المعنوي من الحضارة: الروحي والفكري والعلمي والفني تولد بدورها المدنية التي تمثل الجانب المادي منها من عمران وأدوات وملبس ومأكل. فينسجم الجانبان وتتألف الحضارة ويرقى الإنسان في سلم الإنسانية.

هكذا هي الحال في كل زمان ومكان، والسر الكامن وراء ذلك أن الإنسان تَوَّاق إلى ارتياد المجهول واكتناه أسرار الكون. والعقل يلح في طلب المزيد من المعرفة وكشف ما استتر وراء حجاب. وفوق ذلك فإن لدى العرب المسلمين حافزاً عقدياً فيما ورد من آيات بينات في القرآن الكريم: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" [الزمر/9] "وقل ربي زدني علماً" [طه/114] ومما أثير عن النبي العربي الكريم قوله: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". [رواه الإمام مسلم]. ومما نُقل عن العرب من حكم : (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) و (اطلبوا العلم ولو في الصين).

العولمة الغازية

إن الولايات المتحدة الأمريكية قد خرجت منتصرة من الحرب الباردة التي امتدت نحو نصف قرن من الزمن بينها وبين الاتحاد السوفيتي، فشعرت أنها أقوى دولة بين دول العالم التي أنهكتها الحرب العالمية الثانية، اقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً، فبرزت لدى الطبقة المسيطرة فيها غريزة الطمع واكتناز المال والتحكم بالآخر وبسط هيمنتها عليه.

جنح الرأسمال إلى التمرکز الشديد واندمجت المؤسسات الاقتصادية والتجارية والمصارف بعضها ببعض لمصلحة الأقوى بينها، وأخذت الشركات المتعددة الجنسيات تعمل برؤوس أموال خيالية تصل إلى مئات المليارات من الدولارات.

وقد احتاج هذا التطور الاقتصادي والمالي إلى الاستيلاء على الخامات والمواد الأولية وإلى

الأسواق المفتوحة لتسويق المنتجات والسلع التي صارت أضعافاً عما كانت بحكم التقدم العلمي والتقني المتسارع. وكل هذا لا يتحقق إلا بتطويع الدول الأخرى بأساليب التحالف والمشاركة تارة، ومثالها بريطانيا وألمانيا، وبأساليب العنف والاحتلال والتهديد تارة أخرى ومثالها أفغانستان والعراق،

لقد عبّر عن هذا الوضع المستجد بالعولمة، التي تعني لغةً جعل الشيء شاملاً ذا طابع عالمي. وتعني في واقعها تحكُّم الشركات الكبرى بالإنتاج والسوق، فيزداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً، لعدم قدرتهم على التأثير في وتيرة الإنتاج ونوعه، وبالسوق والأسعار والاستهلاك.

وأما الثقافة، واللغة أداتها ومستودعها، فليست في منجى من هذا السيل الجارف، بل المراد إضعافها في كل مكان وفي كل دولة لمصلحة ثقافة واحدة تسهلاً للعملية الاقتصادية والنفعية. يقول المفكر عابد الجابري إن العولمة خطر يستهدف ثقافات العالم الثاني والثالث ويعطل فاعلية العقل ويفقدّها خصوصيتها، وبها يجري إخضاع النفوس والتشويش على نظام القيم. كذلك تهدف العولمة إلى توجيه الخيال وتنميط الذوق وقلوبة السلوك، ومن ثم ترسيخ نوع معين من المعارف والسلع والبضائع. إنها ثقافة الاختراق وهدف الاختراق هو التطبيع مع الهيمنة وفرض الاستتباع الحضاري.

الذرائع الكاذبة

إن السلطة في يد الأقوياء تتحول إلى تسلط، وتسعى لعدم الظهور في عيون الناس عارية مكشوفة فتتبدى سوءتها وبشاعتها، فتعمل على التخفي وراء ستار من التزييف والتمويه لخدع الجمهور لعله يصدق مقولاتها ويتقبل مرارتها.

وهكذا تصدى الكاتب الأمريكي هنتنغتون لهذه المهمة، ففي صيف علم 1993م نشر في المجلة الفصلية: القضايا الأجنبية FOREIGN AFFAIRS مقالاً أثار جدلاً واسعاً زعم فيه أن الجانب الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة سوف يكون الصدام بين جماعات

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

من حضارات مختلفة. وعلى أثر الجدل الواسع الذي جرى حول هذا المقال حوله الكاتب إلى كتاب مُدخلاً عليه تفصيلات وتنقيحات وإضافات، وهو كتاب "صدام الحضارات".

وكان قد سبق هذا الكتاب كتاب للكاتب فوكوياما هو "نهاية التاريخ" الذي يدعي فيه أننا ربما كنا نشهد نهاية التاريخ بما هو نقطة النهاية للتطور الإيديولوجي للبشرية، وتعميم الليبرالية والديمقراطية الغربية على مستوى العالم بوصفهما شكلاً نهائياً للحكومة الإنسانية.

يقول هنتنغتن في كتابه "إن خطوط الانقسام بين الحضارات أخذت تحل محل الحدود السياسية والإيديولوجية للحرب الباردة باعتبارها نقاطاً تفجر الأزمات والمذابح".

ويمضي إلى القول: إن النزاع وفق خط الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمر منذ (1300) سنة، وإنه ليس مرجحاً أن ينحسر بل قد يصبح أكثر خطراً!

ويذكر المؤلف أن حضارة الغرب تقوم على الموروث الكلاسيكي "اليوناني والروماني" والموروث الغربي "اليهودي المسيحي" وعلى الأسس التالية: انفصال السلطين الروحية والدينية، الهيئات التمثيلية، حكم القانون والفردية...

إن هذه الأفكار التي تخدم السياسة الحالية للولايات الأمريكية بقيادة "المحافظين الجدد" تتعارض مع الوقائع التالية للثقافات والحضارات:

- إن الحضارة اليونانية والرومانية لم تخلق من عدم، بل نشأت في ظروف معينة في أرض الإغريق وشواطئ المتوسط، مستندة إلى ما اكتشفه وأوجده أهل الرافدين والنيل وبلاد الشام.
- ليس ثمة موروث يهودي - مسيحي، إذ إن المسيحية أنهت ما قبلها عند اليهود وغيرهم من الأقوام وقدمت منظومة روحية وأخلاقية جديدة.

وإذا افترضنا أن ثمة موروثاً بهذا الاسم فإن منبته في الشرق الأدنى لا في الغرب.

- إن الإسلام، عقيدة، موصول بالعقائد السماوية قبله في أمور الإيمان بالخالق الواحد والقيم الاجتماعية والأخلاقية وبالنسب الإبراهيمي. وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد تأثرت

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

بفلسفات الإغريق بحكم التماس والجوار فقد تمّ ذلك بالتواصل الفكري لا بالصراع الحضاري.
• إن القول بأن النظام الليبرالي الديمقراطي هو آخر الأنظمة وخاتمة التاريخ هو قول مغلوط لأن المجتمع البشري قد عرف أنظمة عديدة قبله في الشرق والغرب. فلماذا يكون هذا النظام مخلداً ومخالفاً لسنة التطور الاجتماعي؟
إن هذا المنطق لدى هذين المؤلفين منطق تبريري ذرائعي خاطيء وشديد الخطر معاً، لأنه يسوّغ الحروب والنزاعات وما تتطوي عليه من فواجع وويلات.

حوار الحضارات

إن من يقرأ أحداث التاريخ بروية وموضوعية يجد وقائع لا تحصى، تظهر أن الثقافات والحضارات كان بينها تواصل وتعارض وتبادل وتكامل على الرغم من الفروق الدينية والإيديولوجية.

وإذا كنا نحرص اليوم في هذا العصر الزاخر بالتغيرات المادية والعلمية على سلامة البشرية وأمنها وسعادتها، وعلى تغليب الأمل على اليأس، والفرح على الحزن، والنور على الظلام فلنبذل الحوار بالشجار، والتفاهم بالتخاصم، لنثبت مرة جديدة أن نزعة الخير الفطرية في الإنسان إنما هي نزعة أصيلة، وأن نزوعه إلى الشر إنما هو نزوع غرائزي أو مرضي، فالإنسان ليس ذنباً على أخيه الإنسان، بل في النفس البشرية محبة ورحمة وسماحة وسمو.

إن فكرة صراع الحضارات تفرق بين البشر وتلغي الآخر وتشوه الأنا، وأما فكرة حوار الحضارات فهي اعتراف الناس بعضهم ببعض، وتعني اقتباس اللاحق من السابق مع احترام وعرفان:

- ألم يسمّ العرب والمسلمون الفيلسوف الإغريقي أريسطاطليس المعلم الأول؟
- ألم يعترف الغرب بابن رشد رائداً من رواد الفكر الإنساني؟
- ألم تكن أنطاكية والإسكندرية منارتين ثقافيتين للغرب والشرق معاً؟

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

- ألم يشهد الغرب بفضل ابن خلدون في علم العمران وعلم الاجتماع؟
إن النزاع بين الغرب والإسلام ليس مبعثه ثقافياً ولا حضارياً بل أراد الغرب، غرب المتوسط أن يكون شرق المتوسط وجنوبه مدّى حيويّاً له. فمن له آذان للسمع فليسمع.

طرائق الحوار

إن للحوار بين الحضارات طرائق عديدة يمكن استعمالها لتسد الطريق في وجه دعاة الصراع ومبتدعيه ودعاته ومستغليه والواقعين في شراكه.

إن نقطة الارتكاز في الحوار هي المعرفة، لأن الإنسان صديق لمن يعرف، وعدو لمن يجهل. إننا بحاجة إلى معرفة متبادلة بيننا وبين الغرب، معرفة متحررة من الرواسب القديمة والنظرات الخاطئة والآراء القبليّة والأطماع الأنانية.

إن الزيارات واللقاءات المتبادلة في المؤتمرات والملتقيات والندوات، وتبادل الأساتذة والفنيين والطلاب بين الجامعات، والتعاون الصناعي والتبادل التجاري والسياحة ونشر البحوث الجادة لطرف لدى الطرف الآخر، ووضع الدراسات الجادة عن الثقافات والحضارات في الشرق والغرب، كلها طرائق ممكنة ونافعة. بيد أن للترجمة دوراً أساسياً في خلق التواصل وتنشيط الحوار البناء بين الغرب والشرق العربي الإسلامي. لقد كان شأنها كذلك في منعطفات حضارية مهمة في الماضي، كما سبق أن ذكرنا، ومن الممكن أن يكون لها في الظروف الحالية دور أوسع وأهم.

الترجمة العربية المعاصرة (1945 - اليوم)

تميزت هذه الحقبة من الزمن بانحسار الاستعمار عن المنطقة العربية، ونيل الأقطار العربية استقلالها تباعاً وبقيام جامعة الدول العربية منظمة إقليمية لهذه الدول. ويمكن أن نبين الخطوط العريضة لتطور الترجمة في هذه الحقبة:

أ. الترجمة على صعيد جامعة الدول العربية:

تضمنت المعاهدة الثقافية، وهي أول معاهدة أبرمت بين الدول المؤسسة للجامعة، وما يلي: أن تعمل الدول العربية على تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية القديمة والحديثة وتنظيم تلك الجهود. وجاء في ميثاق الوحدة الثقافية الذي وضع عام 1964م ما يلي: توافق الدول العربية على أن تسعى إلى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية. ونلخص ما قامت به الجامعة تنفيذاً لذلك:

- أنشأت في جهازها إدارة ثقافية (1945-1970) فترجمت بعض الأعمال العلمية والأدبية العامة بمثابة أنموذجات يقتدى بها: بروكلمان، ديورانت، سارتون، شكسبير، راسين...
- أصدرت عشرة معاجم تعين على الترجمة، منها المعجم العسكري ومعجم الألفاظ الزراعية.
- أحدثت "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" عام 1970م لتكون وكالة متخصصة بهذه الموضوعات.
- ألحق مكتب تنسيق التعريب بالرباط "لوضع المصطلحات والمعجمات" بالمنظمة السابقة عام 1972.
- أحدثت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1990م المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.
- أقامت المنظمة المذكورة وحدة للترجمة في إدارة الثقافة لديها (1981-1989) فقامت هذه الوحدة بوضع الخطة القومية للترجمة، ودراساتٍ عن واقع الترجمة في الوطن العربي، ودليل المترجمين العرب...

ب. الترجمة على صعيد الدول العربية (1945 - اليوم)

منذ منتصف القرن الماضي نشطت الترجمة في البلدان العربية بدافع الحاجة إليها، بسبب ازدياد التواصل بينها وبين البلدان الأخرى، واشتداد الرغبة في الاطلاع على العلوم والتقنيات والتقانات الحديثة، وعلى روائع الإنتاج الفكري والأدبي في العالم، وسدّ الحاجة إلى تزويد طلاب

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

الجامعات التي تدرس العلوم باللغة العربية بأهم المراجع والكتب الجامعية، وتنامي الوعي عامة بأهمية التواصل مع الغير ومعرفة المستجدات في العالم.

تتولى دور النشر موضوع الترجمة، إضافةً إلى التأليف والتوزيع والبيع، وذلك بتكليف مترجمين بترجمة كتب تختارها، أو قبول كتب ترجمها مترجمون فتقوم بطبعها وتسويقها. وقد أحدثت مؤسسات حكومية وأهلية تُعنى بالتأليف والترجمة والنشر، ولاسيما الإدارات التي أنشأتها وزارات الثقافة والتعليم العالي والجامعات واتحاد الكتاب العرب.

إن هذا التطور الإيجابي الذي لحق بالترجمة، وتمثل في ازدياد دور النشر وعدد المترجمين والمترجمات، يُعدّ خطوة هامة نحو الأفضل إذا قيس بما كانت عليه الحال في الماضي، ولكنه ليس كافياً البتة إذا ما قيس بما نحن بحاجة إليه في الوقت الحاضر، وبما يتدفق في سوق الكلمة في العالم ممن مؤلفات ودراسات، وبما يحتاج إليه الوطن العربي ببلدانه الاثنين والعشرين البالغ عدد سكانها 300 مليون نسمة.

ونلقي نظرة تقييمية على ما يصدر من ترجمات في البلدان العربية من حيث الكم والنوع:

1. **التقييم الكمي:** تشير الإحصاءات البيبليوغرافية التي نشرها الدليل الذي صدر عن المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في 2007/4/9م إلى ما يلي:

إن عدد الكتب التي ترجمت إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى بين عامي 1979 و 2002 قد بلغ 8829 كتاباً أي بمعدل 384 كتاباً في كل سنة. وهذا العدد يأتي في المرتبة السادسة عشرة بعد الإنكليزية والألمانية والإسبانية والروسية، بل بعد البولونية والهنغارية والتشيكية والدانمركية، مع الفارق بين عدد السكان العرب وسكان تلك البلدان.

أما ما يصيب السكان من الكتب المترجمة فهو 1.25 كتاب لكل مليون من العرب و 112 كتاباً لكل مليون إسباني و 150 كتاباً لكل ساكن في إسرائيل، الكيان المصنوع في فلسطين بقرار دولي جائر. إن هذا لا يدل على قصور في القدرة بل على تقصير في العمل، علماً بأن نسبة المترجم عندنا 6% من المطبوع في حين أنها تتجاوز 9% في البلدان الأخرى.

2. **التقييم النوعي:** إن اختيار الكتب للترجمة هو نقطة الانطلاق، والشرط الأساسي في الاختيار التحقق من صلوح الكتاب المختار لسد حاجة وتلبية مطلب، مع حسن التنويع والتوزيع بين النشاطات المختلفة الاقتصادية والتنقيفية والعلمية، وبين الأعمار: للأطفال والشباب والشيوخ والنساء، كما تؤدي الترجمة إلى توفير الموارد البشرية والمادية وتحقيق التنمية المستدامة اللازمة للوطن العربي.

إن هذا الأمر غير متحقق حتى الآن بسبب غياب التخطيط للترجمة على المستوى الوطني والمستوى القومي.

من الواقع إلى المستقبل

إن الواقع الحالي للترجمة في البلاد العربية لا يتناسب البتة مع حاجتها إليها في هذا الزمن الذي نحيا فيه والزمن الذي سيليه، زمن الأجيال القادمة، زمن المعرفة. إن المعرفة هي من صنع الإنسان، وهي ثمرة العقل، ولكنها في الوقت ذاته هي التي تصنع الإنسان الفاهم والقادر المنتج... فالترجمة، والحال هذه ليست شيئاً ترفيهياً أو عبثياً بل هي استثمار رابح، لأن العامل في أي مجال كان، وأياً كان اختصاصه، يكون أدأؤه أفضل وعمله أجدى وأجود إذا رُود بأفضل ما وصل إليه العلم والإبداع في العالم، وأهم سبيل إلى ذلك هو الترجمة.

وثمة أمر يخصنا نحن العرب والمسلمين دون غيرنا أو أكثر من غيرنا من الأقوام والشعوب، وذلك أننا في موضع الاتهام. وقد سبق أن ذكرنا في دراستنا هذه أن الفكر الغربي التبيري الذي خرج من مدرسة المحافظين الجدد، قد تمادى في القول على لسان هنتنغتون: إن للإسلام حدوداً دموية مع الحضارات الأخرى، وأنه أي الإسلام هو خطر دائم. فكيف ندحض هذا الافتراء ونكشف زيف ذلك الاتهام؟

إن بدعة صراع الحضارات لا تُدفع باللوم والعتاب والصخب والاحتجاج، بل تدفع بالعمل الجادّ والبرهان الصحيح، كيما تتكفى على عقبيها وترتد إلى أصحابها وتأخذ مكانها إلى جانب ما

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

ابتدع في أوربا قبلها من أفكار عنصرية، فاشية ونازية، ظهرت لتبرر الحرب العالمية الثانية التي دمرت ما دمرت من عمران، وقتلت من قتلت من الأبرياء.

إن كتباً كثيرة ترجمت عن العربية وكانت حجر الأساس في نهضة الغرب ولكنهم تناسوها، وثمة كتب تترجم في هذه الحقبة من الزمن من العربية إلى اللغات الأجنبية بعدد لا يقل عما يترجم من اللغات الأجنبية إلى العربية، ولكن غالباً ما يختارها ويترجمها هواة غربيون يعرفون العربية.

ونتساءل متى نصنع خبزنا بأيدينا، فننقل إلى أهل الغرب بلغاتهم المتعددة مؤلفات عربية من روائع تراثنا الغني، وإنتاج مبدعينا العرب اليوم في مجالات الفكر والأدب والفن نحن نختارها، ونحن نترجمها، ونحن نطبعها، ونوزعها بالتعاون مع مؤسسات غربية متعاونة ولاسيما أنه لا ينقصنا لا مال ولا رجال؟

إن علينا أن نترجم لكسب المعرفة، وأن نترجم لتحقيق التنمية، وأن نترجم لصنع المستقبل واللاحق بالتطور في العالم، وأن نترجم للانتقال من مرحلة استهلاك منتجات العلم إلى مرحلة صنع العلم، وأن نترجم من أجل إحباط الصراع المزعوم بين الحضارات وإحلال الحوار بينها، لإقامة عالم يقوم على التفاهم والأمن الجماعي. وإذا كانت العولمة نظاماً لا بد منه يقتضيه العصر فلتكن عولمة إنسانية عادلة خالية من الظلم والاستثناء والاستقواء.

وإذا كان لابد من توصيات، والتوصيات تتكرر ولا تنفذ في معظمها، فأهمها:

1. **التخطيط:** ثمة خطة قومية للترجمة صدرت عام 1985م عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وصدرت ثانية معدلة وموسعة عن المنظمة المذكورة عام 1996م ويجري الآن تحديثها وتوسيعها مجدداً.

2. **التشريع:** ثمة نصوص تشريعية في بعض الدول العربية لشؤون الترجمة، وتحتاج إلى تحديث، وينبغي أن يكون في كل دولة عربية تشريع خاص بالترجمة، ينظم مسألتها اختيار الكتاب واختيار المترجم، ومسألتها المراجعة والتدقيق لتكون الترجمة حسنة الأسلوب واللغة

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

والمصطلحات.

3. **التنظيم:** إن تنظيم المترجمين في جمعيات وروابط، وإحداث اتحاد للمترجمين العرب أمر هام ومفيد. وثمة أقطار لديها جمعيات للمترجمين ناشطة وأخرى بحاجة إلى جمعيات. أما اتحاد المترجمين العرب فقد أسس عام 2002م في بيروت وصدر ترخيص قانوني له عام 2006م وهو في مطلع عمله.

أحداث هامة وجديدة

يطيب لي في خاتمة هذه الدراسة أن أذكر بعض الأحداث الهامة والجديدة في عالم الترجمة العربية:

- تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتحديث الخطة القومية للترجمة.
- تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتقديم جوائز مالية سنوياً لأصحاب أفضل الترجمات.
- بلغ ما أصدره المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق مئة كتاب من أمهات الكتب لتكون مراجع علمية للطلاب والباحثين.
- بلغ عدد المعاجم المتخصصة التي أعدها مكتب تنسيق التعريب بالرباط 39 معجماً.
- أنشأت جامعة الدول العربية معهداً عالياً لإعداد المترجمين بالجزائر قبل ثلاث سنوات.
- تقوم المنظمة العربية للترجمة ببيروت ودار الحكمة بتونس وغيرها في مصر والسودان والسعودية والأردن ولبنان بنشاط ترجمي محمود.
- أحدث في تونس المركز الوطني للترجمة وأعلن عام 2008م عاماً للترجمة.
- أحدثت مؤسسة الفكر العربي ببيروت وأطلقت دبي مشروعاً كبيراً للترجمة وأعلنت أبو ظبي مشروع "الكلمة".
- باشر اتحاد المترجمين العربي، ومقره بيروت، أعمله لتحقيق أهدافه؟

الخاتمة

أما كلمة الختام فهي أن الأمة العربية أمة عريقة أخذت من الثقافات السابقة عن قدرة وأعطت سواها بسخاء، وتركزت أثرها على صفحة الحضارة الإنسانية ستة قرون متتالية.

وإن مبدأ صراع الحضارات مبدأ مغلوط، حيكَ للتمويه لا للتنبيه، لتزيين الاستعلاء العنصري بإقامة جدران عازلة بين الحضارات. وإن البديل عنه هو الحوار والتعايش بين الثقافات، واحترام الآخر وقبول ثقافته، وإيثار التنوع على التفرد، والتعاون على التناذب والسلم بدل الحرب والنزاع.

أما الترجمة فتظل أبداً، كما كانت في الماضي، سبيلاً آمناً من سبل التواصل والتفاهم ومعرفة الناس بعضهم بعضاً على اختلاف لغاتهم وتعدد أوطانهم وحضاراتهم، ولَبِنَةٌ في بناء سلام دائم وعولمة إنسانية عادلة بين شعوب الأرض.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

المراجع

- الخطة الشاملة للثقافة العربية، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ط2 عام 1990م.
- الخطة القومية للترجمة (المحدثة) إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1996م.
- كتاب "صدام الحضارات... إعادة صنع النظام العالمي" تأليف صامويل هنتنغتن، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوه طبعة ثانية 1999م.
- كتاب "الثقافة العربية وعصر المعلومات" تأليف د. نبيل علي، العدد 276 من عالم المعرفة، الكويت 2002م.
- كتاب "أوراق ثقافية" للأستاذ شحادة الخوري، دار الطليعة الجديدة، بدمشق/سورية عام 2001م.
- كتاب "الترجمة قديماً وحديثاً" للأستاذ شحادة الخوري من منشورات دار المعارف بتونس عام 1988م والأجزاء الثلاثة من كتابه "دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح" إصدار دار طلاس ودار الطليعة الجديدة في دمشق.
- دراسة حول "الأطروحة اللغوية في ظل العولمة" إعداد د. عبد الله حمد الأستاذ في جامعة النجاح الوطنية، نابلس/ فلسطين.
- دراسة حول "العرب في مواجهة العولمة بين التبعية والاحتواء" للدكتور عبد المنعم السيد علي، مجلة المستقبل العربي العدد 290 تاريخ 2003/4م.

الترجمة في ظل رؤية العالم

وثقافة النص (*)

د. عبد القادر سلامي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان - الجزائر

تقديم

لئن ارتبطت الترجمة بمعان لغوية أهمّها: سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته، أو تفسير الكلام وشرحه أو التفسير لما عَجُم واستُغرب؛ فإنَّ المنظرين والكتاب المترجمين يتفقون على أنّها تعني من حيث الاصطلاح: "نقل كلام أو نصّ من لغة إلى أخرى". فابن المقفع (ت142هـ) عند ابن النديم (ت438هـ) أحد النقلة من الفارسي إلى العربي. "ويعد عادل زعيتر أحدهم في العهد الحديث. وليس أيّ نقل لنص في لغة إلى نص في لغة أخرى هو الترجمة، إذ إن للنقل قواعد محدّدة لا بدّ من أن نراعيها، وإلّا فقدنا الحقّ في تسمية النص المترجم ترجمة.

هذا، وتظل رؤية العالم وثقافة النص هما المناخ الذي يحدد طبيعة العمل وأدواته، إذ تختلف الترجمات الإبداعية للنصوص الخالدة، مثل الإلياذة لهوميروس والكوميديا الإلهية لدانتّي، عن رواية لتشارلز ديكنز، دون الانتقاص طبعاً من قيمة هذا الأخير. والمترجم أثناء العمل يستعمل ذاكرته اللغوية وذوقه الجمالي في قراءة النص قبل استحضار أدوات العمل، وهنا لا بد من التذكير

(*) جزء من دراسة أعدت لمؤتمر الترجمة في الدول العربية - أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم - في جامعة اللاندية في 1-3 حزيران 2006م، بإشراف المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

بأن المترجم غير المتذوق لجماليات النص بلغته الأصلية، غير قادر على نقلها إلى لغة أخرى مهما كان هذا المترجم قديراً ومتمكناً من تقنيات الترجمة.

هذا وتسعى الدراسة التالية إلى الوقوف على مضامين ونماذج من هذه النقول التي قد تتعذر ترجمتها من لغة العرب وإليها على أكثر المترجمين مراساً، فضلاً عما قد يتعذر منها خاصة، إذا قام عليها غير المختص من الأفراد أو المجامع، غير المتصلع من لغة تكثر فيها المقابلات الحية معجماً، المغيبة تداولاً في اللغة الهدف، والعربية أهمها في الوقت الراهن، مستعرضين ذلك من حيث الواقع والأسباب.

الترجمة ورؤية العالم

هناك وجهة نظر في هذا الشأن قدم لها عالم اللغة الألماني الشهير "إدوارد سابير" وطورها تلميذه "بنيامين لي ورف"، لذلك سُميت بنظرية "سابير - ورف"، في حين فضل بعضهم تسميتها بـ "نظرية الاتصال اللغوي"، ومفادها أن الترجمة بين لغتين مختلفتين أمرٌ مستحيلٌ. ولئن كانت لا ترقى إلى مستوى الإجماع، مع كونها على درجة كبيرة من الأهمية، إلا أنه يمكن التعبير عن تلك النظرية بطرق عدة و بدرجات متباينة، وإن كانت الصياغة الشائعة لها تقول: "يؤثر تركيب لغتنا بدرجة كبيرة في الطريقة التي نستوعب العالم بها".¹

لقد اشتغل "ورف" مفتشاً في تأمين الحرائق قبل اشتغاله بعلم اللغويات، فاكشف، من تحريات قام بها، حرص العمال في تعاملهم مع أنابيب الغاز الملأى، في مقابل تراجع ذلك الحرص عند التعامل مع الأنابيب الفارغة. وهو تصرف غير سليم؛ لأنك إذا أشعلت تقاباً في أنبوب مملوء فإن الغاز يشتعل على الفور، أما إذا أشعلت أنبوبة فارغة فإن الغاز المتبخر المتبقي داخلها سينفجر بعنف، لذا تمكن "ورف" من أن يستنتج وجود شيء ما يحوم حول معنى كلمة "فارغ" التي حملت

¹ ر. ل. تراسك: أساسيات اللغة، ص 70.

العمال على مثل هذه اللامبالاة أو هذا الفعل الطائش.²

إن مسألة تعذر الترجمة في الأساس تنطلق من فكرة أن لكل لغة نظرة مختلفة ورؤية خاصة للعالم. هذه الرؤية، التي تجعل رجل الإسكيمو يعبر بألفاظ وتعابير متنوعة عن مختلف حالات الثلج وأسمائه، وتجعل العربي يتقن وصف الإبل وما يدبُّ في الصحراء، هي التي تجعل من طبق اللحم الحلو بالبرقوق الذي يعدُّ أشهى الأطباق في منطقة المغرب العربي، محطَّ رغبةٍ وشكٍّ في المشرق الذي يعدُّ أكل اللحم النيئ من المقبلات الشهية (الكبة النيئة). وكذلك فكلمة "حلزون" Escargot مرتبطة بذهن الفرنسي بفكرة الاختصاص الرفيع للمطبخ الفرنسي، على حين هي تثير تفرُّزَ الألماني واشمنزازه.³

ولا غرو أن "أولت المدرسة الألمانية، ومن أقطابها رايس وفيرمر (1991م) أولوية قصوى لركن الثقافة في الترجمة، إلى درجة أن سنيل-هورني (1988م) أكدت أن الترجمة تقع بين ثقافتين لا لغتين".⁴

ثم إن الحديث عن ثقافة النص يعني الحديث عن وظيفة العلامة أو الإشارة اللغوية "sign(e)" التي تكتسب طبيعتها ومشروعيتها من النسق اللغوي "السياق"⁵ في علاقاتها الجدلية

² المرجع السابق، ص 70-71.

³ ينظر: Wills, w. , The science of translation problems and methods, gunter, p 40.

⁴ محمد الديدوي: الترجمة والتواصل، ص 81.

⁵ يدلُّ السياق من حيث الاصطلاح على تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه. ويقصد به جوارُ الكلمات في التلاصق الرُّكني الذي للجُمْل في الملفوظ، أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات. وعادة ما تعدّ العوامل الصوتية النحوية والصرفية في تركيب الكلام مظهراً سياقياً أو تركيبياً. كما يُقصد به ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما تَرُدُّ فيه اللفظ من الاستعمال؛ وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام؛ وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وكلام آخر أو غير كلام مدعاةً إلى استعمال اللفظ بالطريقة التي يستعمل بها في اللغة. وهو بذلك "جسمٌ حيٌّ" أو مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة، وفيه تقاطعات مستمرة. ومن مظاهر ذلك مثلاً مجاورة الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة أو في كلمتين، فالتقاء صوتين

بالعلامات الأخرى، والتي تشكل في مجموعها وحدات النص ضمن وظيفته التواصلية وضمن العلاقة التالية:

المرسل - النص - المتلقي

أي إن النص هو الإطار الناقل للعلامة اللغوية مع اعتبار أن المرسل هو في الوقت نفسه متلقٍ والعكس صحيح.⁶

الترجمة وثقافة النص

تُبرز ثقافة النص واحدة من أهم إشكاليات الترجمة أولاً وهي المقابل أو المجاور الدلالي في اللغة المنقول إليها، مع العلم أن المقابل أو المجاور لو تطابقا مع الأصل تبقى جمالية العلاقة بين الدوال والمدلولات في النص ناقصة لغياب عناصر أخرى مثل الوزن والقافية في العمل

في سياق واحد قد يؤدي إلى التصرف في أحدهما بالإبدال؛ إذ ليس كل حرف صالحاً لأن يجاوره حرف آخر. كما أن شكل المقطع ومخرج الحرف وصفاته والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده. وهو ما أطلق عليه ابن خلدون (ت808هـ) الأداء والأسلوب، فأكد أنه "عبارة عن المنوال الذي يُنسج عليه التركيب أو القالب الذي يُفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، أي النحو، ولا باعتبار إفادته كما المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتركيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التركيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التركيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها رصاً، كما يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التركيب الوافية بمقصود الكلام ووقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة". (ينظر على التوالي: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 465/1، مادة (ساق) وينظر: عدنان ذريل: اللغة والدلالة، ص160 وتامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص176-45 13-44، 318 ومحمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص116 وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص163 وابن خلدون: المقدمة، ص569-571.

⁶ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافة، عدد فبراير 2000م.

الشعري.

وقد ساق الباحث عُدِي جُونِي للتمثيل لذلك مقطعاً لقصيدة للشاعر الفلسطيني محمود درويش بعنوان "أبيات غزل"⁷، وهو مقطعٌ على بساطته يعطي مثلاً تطبيقياً ناجحاً لما يسمى "بتقافة النص":

أَتَبْقِين فوق ذراعي حمامة

تغمّس منقارها في فمي؟

وكفّك فوق جبيني شامه

تخلّد وعد الهوى في دمي؟

وقد حاول في ترجمته إلى الإنجليزية أن يبرز المعايير الدلالية لكلمتي "حمامة"، و"شامة" التي تعطي للمقطع مناخاً خاصاً، وإن كان لا يدّعي أنّه نجح تماماً فقال:

to my mouth, in Immersing her peak
Your palm a mole
eternalizing the promise of love in my blood.

لتحليل ثقافة النص في هذا المقطع، علينا أولاً أن نقرأ اللعبة الدلالية لمحمود درويش في توظيف كلمتي "حمامة وشامة". فقد عرض الباحث عُدِي جُونِي النص على بعض طلاب الجامعة من الجنسين "خمسة طلاب وست طالبات" لم يسبق لأي منهم أن سمع حتى باسم محمود درويش، ثم أسمعهم القصيدة مغناة بصوت وألحان الفنان المبدع البحريني خالد الشيخ وألحانه. وقد توزع الطلاب على جنسيات مختلفة، أسترالية، يابانية، وأميركية، وسيرلانكية، وماليزية. طلب الباحث من كل طالب وطالبة أن يكتبوا انطباعاتهم بعد قراءة الترجمة وقبل سماعها مغناة، ثم بعد سماع الأغنية. وجاءت النتائج على النحو التالي:⁸

استغرب الأميريون استعمال الحمام في الصورة التي رأوا فيها تضميناً غير مباشر لفعل

⁷ محمود درويش: ديوانه، ص 210-213.

⁸ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافة، عدد فبراير 2000م

جنسي "sexual implication" إلى جانب أن الحمام طائر مزعج، في حين وجد الطلاب الأستراليون العلاقة بين الحمامة والشامة غريبة بعض الشيء.

أما الطلاب اليابانيون، فقد فهموا المغزى من رمز الحمامة كونها رمزاً للسلام، حالهم حال نظرائهم من سيريالانكا وماليزيا، في حين استطاع طالب أسترالي واحد أن يربط الحمام برمز السلام، وعند سؤاله عن السبب تبين أنه يحضر لدراسة الماجستير في شؤون الشرق الأوسط. في حين أن طالبة أسترالية أخرى، وهي متزوجة وأم، رأت في صورة الحمامة رمزاً للأومومة.

أما صورة الشامة والخلود فقد استغرب الجميع توظيفها في قصيدة غزلية على أساس أن الشامة جسم غريب يحمل في خفاياه احتمالات التحول إلى سرطان، في حين أشار طالب واحد، يدرس الطب، إلى أن الشاعر ربما استعمل الشامة دلالة على تأصل الحالة الوجدانية لدى الشاعر، لأن الشامة لا يمكن إزالتها إلا بالاستئصال.

وبعد هذا أمكن الباحث المستقرئ أن يخلص إلى أن استعمال مفردة واحدة أعطى النص عدة مفاهيم دلالية تبعاً لثقافة كل متلقٍ وفق بيئته المهنية أو الدراسية أو حتى الاجتماعية، مما يؤكد أن النص يستحضر في وجوده مناخاً تفسيريّاً خاصاً يستتبع مستويات متعددة للعبة الدلالية، مع التنكير بأن النص الإنجليزى لهذا المقطع يفتقر إلى جماليات الأدوات الشعرية وانسياب القافية والخصوصية الغنائية، التي عادة ما تتمتع بها نصوص محمود درويش. وأُظرف من ذلك أن انطباعات الطلبة اختلفت تماماً بعد سماع الأغنية، إذ أشار الجميع إلى نبرة الحزن في المقطع الملحن. وهذا يدل على تغير المعنى الدلالي للنص لدى جمعه مع وظيفة تعبيرية أخرى تمتلك أدواتها الفنية الخاصة.⁹

وبناءً على ما تقدّم فإنّ النص المترجم عادة ما يصطدم بإشكالية ثقافة النص المنتج، بسبب علاقات لغوية تتحكم فيها آليات دلالية تختلف عن تلك التي تعودها السّامع أو القارئ، الذي قد

⁹ المرجع السابق.

يفهم النص لكنه ليس من المحتم أن يتذوق معناه الجمالي. فلوعدنا إلى نص محمود درويش وقاربناه بطريقة تحليلية معمقة لوجدنا أن النص يتوزع على مساحات دلالية مرتبطة بالواقع الفلسطيني، الذي يرى في الحمام رمزاً للسلام في صراعه اليومي لإثبات وجوده على أرضه وربما يرى بعضهم في ذلك الرمز، كما وظفه محمود درويش، دعوة للتعايش لو افترضنا أن المخاطب هنا هي فتاة يهودية. أمّا الشامة فهي في نظر القارئ العربي واحد من معايير الجمال التي تُضفي على المحبوبة حسناً آخر إلى جانب علاقتها العضوية المباشرة بالجسد، رمزاً للعلاقة الحميمة.¹⁰

الترجمة في الميزان

لئن ساد الاعتقاد أيام جورج مونان أن الترجمة في الأدب الروائي والمعاصر بوجه عام أقلّ حدّةً منها في الشعر¹¹، فإنّ ما أقرّه الكثير من المنظرين والأدباء المترجمين من أمر عدم قابلية الشعر للترجمة يبقى اعتقاداً فيه كثير من الصّحة.¹² فالعقبة الكأداء التي تقف أمام ترجمة أيّ قصيدة من لغة إلى أخرى تتمثل في أن الصور الشعرية قد يكون لها رنين وإيحاء مختلفان من لغة إلى أخرى، فما يعدّ عميقاً ومبتكراً في لغة ما قد يبدو سخيلاً وسطحياً في لغة أخرى، تبعاً لطبيعة الأجواء اللسانية والثقافية والحضارية التي تلف كلتا اللغتين. وحين تفقد القصيدة، من جراء الترجمة، موسيقاها ومزاياها العروضية والبلاغية فإنها تفقد الكثير، وقد تتحول إلى نثر

¹⁰ المرجع السابق.

¹¹ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص105. والجدير بالذكر هنا أن الفضل يرجع إلى جورج مونان في إعادة طرح الموضوع مجدداً في كتابه "les belles infidèles"، 1955 (الجميلات الخائئات)، وقد تطرق فيه إلى الحجج التي ساقها Du Bellay (1549) والتي من أهمها تعذّر ترجمة أحد الأبعاد الأساسية للغة ألا وهو البعد الشعري. ينظر: Georges, M. Les Belles Infidèles, p15.

¹² خلّص جاكوبسون إلى أن الشعر لا يمكن ترجمة، وما يمكن عمله فقط هو نوع من الإبدال الخلاق. ينظر: Jacobson, R., Essais de linguistique Générale, p238.

محايد تافه.¹³

وهذا جانب أدركه الجاحظ في وقت مبكر. فقد بدا واضحاً في إنكاره قابلية الشعر للترجمة، وله في ذلك حجج مُنَبِّتة في كتاب الحيوان، منها قوله: "فضيلة الشعر مقصورة على العرب، ومن تكلم بلسان العرب، والشعر لا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُترجمَ، ولا يجوزُ عليه النقلُ، ومتى حُوِّلَ، تقطَعَ نَظْمُهُ وبطلَ وزْنُهُ، وذَهَبَ حُسْنُهُ وسَقَطَ مَوْضِعُ التعجبِ، لا كالكلامِ المنثورِ".¹⁴

وإذا كان الجاحظ قد أقرَّ بأنَّ "الكلامَ المنثورَ المُبتدأَ على ذلك، أحسنُ وأوقعُ من المنثورِ الذي تحوَّلَ من موزون الشعر".¹⁵ فالى أيَّ مدى يصلح النصُّ النَّثريُّ للترجمة؟

إننا لا نجانب الصواب إذا رأينا في الإجابة عن هذا السؤال ما رآه جورج مونان من أنه "بدلاً من القول بأن كل شيء يمكن ترجمته أو: كلُّ يتعذر ترجمته، فإنه يتعين علينا أن نبدأ بحصر منهجي لكل الوقائع غير القابلة للترجمة أن نصِفها في مدونة معينة".¹⁶

وهذا التصنيف المنهجي يشكل في الوقت نفسه تصنيفاً لصعوبات الترجمة، والإلمام بهذه الصعوبات يشكل إحدى الخطوات الأولى لحلها، والمتمثلة في البحث عن المنهج الأفضل أو الأسلوب الأمثل في الترجمة. والهدف الأول من وضع المناهج والأساليب هو تقنين عملية الترجمة بغية تضيق هوامش الخطأ فيها، والارتقاء بهذا الفرع من فروع المعرفة إلى مستوى الصرامة العملية. وإن الحالات التي أمكننا إحصاؤها عن تعذر الترجمة، هي حالات خاصة جداً،

¹³ إنعام بيوض منور: الأساليب التقنية للترجمة، ص42.

¹⁴ الجاحظ: الحيوان، 575-74/1. ومنها قوله كذلك: "وقد نُقِلْتُ كُتُبُ الهند، وتُرجمَت حِكْمُ اليونانية، وحُوِّلَت آدابُ الفُرس؛ فبعضُها ازدادَ حُسناً، وبعضُها ما انتقصَ شيئاً، ولو حُوِّلَت حكمةُ العرب، لبطلَ ذلك المعجزُ الذي هو الوزنُ؛ مع أنَّهم لو حوَّلوه لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تُذكره العجمُ في كُتُبهم، التي وُضعت لمعاشيهم وفطنهم وجكمهم". ينظر: المصدر السابق، 75/1.

¹⁵ الجاحظ: الحيوان، 75/1.

¹⁶ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص33.

لا تشكل من الناحية العملية عقبات يصعب تجاوزها أو اتخاذها حجة دامغة لاستحالة الترجمة.¹⁷ ومهما كانت الأسباب وراء تعذر الترجمة أيام الجاحظ¹⁸ أو بعده بقرون¹⁹، فإن مهمة المترجم الأدبي تتمثل فقط في نقل قصيدة أو رواية من لغة إلى أخرى ولا تتمثل في التعويض عنها أو الإتيان بأفضل منها. وعلى المترجم أن يعي أنه من المستحيل أن ننقل من لغة إلى أخرى تلك الدقائق الخفية للعبارة والصوت والنغمة التي تجعل من أي قصيدة وجوداً واقعياً منفرداً، فالشعر يمكن ترجمته إذا كان المترجم من الشاعرية ورهافة الحس بحيث يستطيع أن يلج عوالم الشاعر الحميمة، وأن يكون متمكناً من اللغتين، متقناً لهما، وأن يستوعب معجم الشاعر الخاص ويلم بإيحاءاته وينقلها بأمانة لا تفوق عبقرية الشاعر ولا تخذلها، وهذا الأمر يعزز من دور الترجمة في تقريب الهوة بين الثقافات الإنسانية التي أسهم فيها رعييل من المترجمين الأفاضل أمثال: خالد بن يزيد بن معاوية (ت85هـ) ويوحنا بن البطريق، وابن الناعة الحمصي، وثابت بن قرة (ت288هـ)، وحنين بن إسحاق (ت260هـ)، وحبیب أو يشوع بن فهریز، وثقیل بن توما (تيوفیل)، وابن وهبلي، وابن صيدلي، وابن المقفع، وغيرهم²⁰ أيامنا كثير، نذكر منهم ميخائيل نعيمة²¹

¹⁷ إنعام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص48.

¹⁸ يرى بعض الدارسين المحدثين أنه كان لحركة الترجمة أثرها في إزهار الحضارة العباسية، إلا أن التراجم إجمالاً ما خلّت من بعض الشوائب. فالإبهام في النصوص كان شائعاً والتفسير السيء مألوفاً. وقد يكون مردُّ هذا إلى التعابير التقنية في لغة الضاد، أو إلى النقل عن غير الأصل، أو إلى جهل بعضهم اللغة المترجم منها وإليها، أو كليهما معاً، علماً بأن الترجمة في تلك الأيام كانت تجري غالباً من السريانية، والترجمة السريانية بدورها عن اليونانية. ينظر: جميل جبرا: لجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص97/96.

¹⁹ ينظر في هذا الصدد: Catford, J. C.: Alinguistic Theory of Translation, London, 1965, p. 99, 94 وجوزيف ميشيل شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، 1982م، ص128، 107.

²⁰ ينظر على سبيل المثال: الجاحظ: الحيوان، 76/1 وابن النديم: الفهرست، ص523 ومصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، ص140-145.

وعادل زعيتر "شيخ المترجمين العرب في عصرنا الحديث".²²

ولئن لم تكن الترجمة دائماً، منذ أن اتخذت جسراً للتواصل بين الثقافات المختلفة، مشروعاً تقوم عليه المؤسسات دون الأفراد، كما هو حال "بيت الحكمة" قديماً، و"المجلس الأعلى للثقافة" في مشروعه القومي للترجمة بمصر حديثاً، فإن أمرها يجب أن يسند في الحالتين إلى من يمتلك ناصية العلم ويسلك في أدائها مسلك أصحاب الرسائل.²³

²¹ ويعدّ من الرواد الذين نبّهوا في أوائل العشرينيات على ضرورة الترجمة وخطورتها، وأحد الممارسين لها منها ترجمته لرواية "النبي" لصاحبها جبران خليل جبران (1882-1931م) وقد صدرت عن مؤسسة نوفل، بيروت، سنة 1936م. ينظر: حسني زينة: أثر الترجمة في تكوّن البلاغة العصرية، ص212.

²² ينظر: وديع فلسطين: عادل زعيتر مترجم ذو رسالة، ص3.

²³ ذهب محمد شرف سنة 929م في أمر الترجمة والمترجمين يقول: "وقد سار معربو هذا الزمان ومترجموه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتدع هذا أسلوباً جرى عليه خالفه فيه غيره، واستنّ آخر سُنّة لم يسايره عليها أحد، وصار كلّ معرّب يضع لنفسه منهاجاً لتصوير الألفاظ والمعاني أو لتعريبها، وانطلقت الألفاظ والألسنة بالأعنة، ووضعت أوضاعٌ وصيغت ألفاظٌ بطرق مختلفة لا تؤدّي المقصود منها، وشطّ المعربون عن الصواب شططاً بعيداً. وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعرّبة والتي تدرّس في مدارس الحكومة أو ما نشر في الصّحف اليومية والمجلّات خلطٌ كبير". المرجع السابق، ص212.

المصادر والمراجع

أ. العربية:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن خلدون: المقدمة، ابن خلدون، عبد الرحمن محمد: مقدمة ابن خلدون، ط2، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1416هـ - 1996م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين: شرح جمل الزجاجي. دراسة تحقيق علي محسن عيسى مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ - 1985م.
- ابن مكي الصقلي: أبو حفص عمر بن خلف: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر غطّاء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، لبنان، 1956م.
- ابن النديم، محمد ابن إسحاق، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ - 1985م.
- أبو الفرج، محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط1، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، 1966م.
- أنيس إبراهيم: اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر، 1970م.
- أنيس إبراهيم ومنتصر عبد الحليم والصوالحي عطية، وأحمد محمد خاف الله: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.
- بكر السيد يعقوب: نصوص في فقه اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.
- بيوض إنعام: الأساليب التقنية للترجمة، دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ "فيني وداريلني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب "النبي" لجبران خليل جبران، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور حمدان حجاجي، سنة 1992م.
- تراسك ر. ل: أساسيات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، ط3، تحقيق وشرح عبد السلام محمد بن هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1388هـ - 1969م.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

- جبرا جميل: الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1404هـ - 1984م.
- الجواليقي أبو منصور: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، 1389 هـ - 1969م.
- جوين عدي: إشكالية الترجمة وثقافة النص. مجلة أفق الثقافية الإلكترونية، عدد فبراير 2000م.
- حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1400هـ - 1979م.
- حسن زينة: أثر الترجمة في تكوين البلاغة العصرية، مجلة الفكر العربي، العدد السادس والأربعون، السنة الثامنة، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، حزيران 1987م.
- الديدواوي محمد: الترجمة والتواصل، دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.
- درويش محمود: ديوانه، ط6، دار العودة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- سلوم، تامر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 1983م.
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن:
- الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح و تعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- شريم جوزيف ميشيل م: منهجية الترجمة التطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م.
- الشكعة مصطفى: معالم الحضارة الإسلامية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1982م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- وديع فلسطين: عادل زعيتر: مترجم ذو رسالة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 76، الجزء، 1321هـ - 2001م.
- مدور، عبد الوهاب: فن الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 93، السنة 23، شتاء 1997م.
- مظفر الدين حكيم، أسعد: علم الترجمة النظري، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989م.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

- موان جورج: علم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، مراجعة أحمد فؤاد عفيفي، ط1، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م
 - مطر عبد العزيز: لحن العامة في ضوء علم اللغة الحديث، ط2 دار المعارف، 1401هـ - 1981م .
 - القاسمي علي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
 - الدميري، المتولي بن رمضان أحمد: شفاء الغليل في مصطلح جمل الخليل، دراسة للمصطلحات النحوية من خلال كتاب الجمل المنسوب إلى الخليل بن أحمد، 1412هـ - 1992م.
- ب. الأجنبية:

- Catford, J. C.: A Linguistic Theory of Translation, London, 1965.
- Georges, M. Les Belles Infidèles, cahiers du sud, Paris, 1955.
- Harrap's , Petit dictionnaire, Anglais-Francais/Francais-Anglais, Chambers Harrap Publishers td, GrandeBretagne, 1998.
- Jacobson, R. , Essais de linguistique Générale, TL, les éditions de Minuit, 1974.
- Le Petit Larousse-Larousse-Paris-Cedex06, 2003.
- Mounin, G, Les Belles Infidèles, cahiers du sud, Paris, 1955.
- Wills, w., The science of translation problems and methods, gunter narr, Verlag, Tubingen, 1982.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

إشكالية المعنى في النص المترجم

أ. د. عبد العالي بشير

جامعة أبي بكر بلقايد / تلمسان/الجزائر

مقدمة

أسعى في هذه الدراسة لتحديد مفهوم المعنى من منظور اللسانيات والسيماثية ونظرية التلقي، لأنقل بعد ذلك إلى الحديث عن المعنى في النص المترجم، وما تتطلبه هذه العملية من تحقيق الأمانة والوفاء للنص. وأنهى هذه الدراسة بنماذج تطبيقية أحاول من خلالها إبراز الصعوبة التي تواجه المترجم، لأن هذا الأخير ملزم بالتقيد بالنص المترجم لنقل مضمونه إلى القارئ.

المعنى من منظور اللسانيات

يتفق اللسانيون على أن المعجم اللغوي لا يمكن أن يكون مجرد قائمة أو ركام من المفردات ينهل منها المتكلمون عند الحاجة، ويعترفون بأن الدلالة اللغوية تمثل عصارة فكر وحضارة أمة من الأمم، فلذلك يصعب حصرها أو إحصاؤها. تقول خولة طالب الإبراهيمي مؤكدة هذا المعنى: "لكي يتسنى لنا تحديد دلالة صيغة لغوية معينة تحديداً علمياً دقيقاً لابد لنا من معرفة علمية حقيقية بكل ما يشكل عالم المتكلم، بيد أن المعرفة البشرية محدودة اليوم إذا ما قورنت بسعة هذا العالم".¹

¹ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص 118.

وعلى الرغم من الصعوبات التي اعترضت سبيل الباحثين المشتغلين بالمعنى، فإنهم لم يدخروا جهداً من أجل بناء النظريات وتوضيح الأسس والمبادئ التي تنظم المعنى، ومن بين هذه النظريات:

• **النظرية المقامية:** وقد أشار إلى هذه النظرية العالم اللساني "بلومفيلد" في كتابه علم اللغة حيث يقول: "إن دلالة صيغة لغوية ما إنما هي في المقام الذي يفصح فيه المتكلم عن هذه الدلالة والرد اللغوي أو السلوكي الذي يصدر عن المخاطب".² ولمعرفة هذه الدلالات ينبغي للمترجم أن يستقري جميع المقامات التي تستعمل فيها هذه اللغة، وهذا العمل يكاد يكون مستحيلاً.

• **النظرية السياقية:** تعتمد هذه النظرية في تحديدها للدلالات اللغوية على المنهج الذي اشتهرت به الدراسات الفيلولوجية في تحقيقها للنصوص القديمة. ويرى أصحابها أنه عندما نريد تحديد معنى وحدة لغوية ما يجب علينا أن نستقري جميع السياقات التي وردت فيها، لأن الكلمة لها استعمالات عديدة.

ويعتبر الباحث الإنجليزي "Firth" من أهم اللسانيين الذين اهتموا بالسياق في اللسانيات المعاصرة، فهو يرى أن إنتاج الملفوظان اللسانية يجري في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي. وقد كان متأثراً بالفكرة التي كانت سائدة في الأوساط اللسانية والأنثروبولوجية آنذاك، والتي تقر بوجود علاقة أساسية بين النظام اللساني وثقافة المجتمع المستعمل لذلك النظام، وبذلك لا يمكن في نظره تفسير الملفوظات اللسانية إلا بردها إلى السياقات التي وردت فيها.

ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية صعوبة تطبيقها، لأن السياقات تتغير باستمرار بتغير ظروف التبليغ والتعبير. ومع ذلك أثبتت هذه النظرية نجاعتها في بعض الدراسات الدلالية التي تهتم ببعض الظواهر المعجمية، مثل الفصل بين المترادفات أو دراسة عدد

² نقلاً عن خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 118.

محدود من المفردات في مدونة مغلقة وواضحة المعالم.

• **نظرية الحقول الدلالية:** تنحو هذه النظرية نحو تصنيف الألفاظ اللغوية في أنساق بنيوية وفق **علائق دلالية مشتركة**. وكان "فرديناد دي سوسير" أول من أشار إلى وجود علاقات يمكن أن تربط المدلولات اللغوية فيما بينها داخل النظام اللغوي، ويمكن أن تدرج في نوعين من العلاقات: علاقات مبنية على التشابه في الصورة، وعلاقات مبنية على التشابه في المعنى.³

والحقل الدلالي هو مجموعة من المفاهيم تبنى على علائق لسانية مشتركة كحقل الألوان، وحقل القرابة العائلية، وحقل مفهوم الزمان، وحقل مفهوم المكان.⁴ أما الإشكال الذي يواجهه نظرية الحقول الدلالية حالياً والذي يجعل التماسها صعب التحقيق فيتمثل فيما يأتي:

- صعوبة حصر الحقول الدلالية في النظام اللساني وتصنيفها.

- صعوبة تحديد العلائق الدلالية بين المداخل المعجمية داخل كل حقل.

• **النظرية التفسيرية:** تقتزن النظرية التفسيرية في علم الدلالة بالتحول المنهجي الذي حدث في مسار الدراسة اللسانية في ظل النظرية التوليدية التحويلية. وبعد هذا التحول قفزة نوعية في مجال الدراسات التركيبية والدلالية على حد سواء.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الدلالة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعطيات الاجتماعية الثقافية "السوسيوثقافية" للمتعلم، وأن التفسيرات الدلالية للتركيب تحدث في المجال الإجرائي للبنية العميقة دون سواها، ولذلك فإن كل المعلومات الدلالية التي يقدمها المكون الدلالي توجد في مستوى البنية العميقة. وأما التحولات التي يحتمل إجراؤها على هذه البنية، فلن تغير شيئاً من المحتوى الدلالي للتركيب.⁵

³ ينظر فرديناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة محمد الشاوش وصالح القرمادي ومحمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، ص 77.

⁴ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 161 .

⁵ ينظر أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ذ ص 173.

نستخلص مما سبق أن جهوداً كبيرة قد بذلت لتوضيح مفهوم الدلالة، وقد مرت الدراسة الدلالية بمحطات مختلفة مكنت من تقديم أفكار هامة سعت من خلالها إلى تحقيق المقاربة العلمية للظاهرة اللغوية.

المعنى من منظور علم الدلالة (السيمائية)

تقوم المقاربة السيمائية على ملاحظة سمات النص اللغوية في جميع مستوياتها المفرداتية والتركيبية اللانحوية وهي بذلك "تشتغل على الخط الإجرائي المتشكل من الوظيفة العلائقية بين الأدلة من جهة، والمدلولات من جهة ثانية والعلاقة بين الطرفين من جهة ثالثة"⁶ هذا التأسيس فتح للسيمائية باباً نحو إبراز مكانتها في حقول المعرفة بمحاولة تأسيسها لعلم الدلالة.

إن النص الأدبي في نظر السيميائيين يشكل كونا من العلامات والإشارات يقبل دوماً التفسير والتأويل، ويستدعي دوماً قراءة ما لم يقرأ فيه من قبل"⁷. إن التعامل مع النص الأدبي بهذه الصورة أدى إلى اعتبار الدلالة أمراً ثانوياً، لأن السيمائية لا تبحث عن ماذا قال المبدع في نصه؟ وإنما تبحث عن كيف قال ذلك؟ وما هي الأنساق اللغوية والتركيبية والصوتية والإيقاعية التي جعلت النص الأدبي يحظى بجمالية متميزة "لأن القيمة الدلالية للقول الأدبي قيمة متداولة في عرف التخاطب الاجتماعي العام، ومعنى ذلك أن ما يفترض أن تلجأ إليه المقاربات النقدية هو الكشف عن الخفي والمستور ويتمثل ذلك في نسق التركيب وجماليته"⁸.

⁶ منقور عبد الجليل، مقاربة سيمائية لنص شعري، مقال في السيمياء والنص الأدبي، ص 13

⁷ نفسه، ص 60.

⁸ نفسه، ص 60.

المعنى من منظور نظرية التلقي

يرى أصحاب هذه النظرية أن النص الأدبي يرتبط بالقراءة والمنتج، ومن ثم فهناك استراتيجية الإنتاج واستراتيجية التلقي، كما أن طبيعة النص تستدعي التأويل والإبداع من جانب القارئ. لقد أبرزت هذه النظرية دور المتلقي ومشاركته الفعالة في إنتاج معاني النص، لأنها حوّلت التركيز من دائرة النص والمؤلف إلى دائرة النص والقارئ. وفي ضوء هذه الأفكار يتعامل القارئ مع النص الأدبي على أساس أن القراءة تجربة تفتح النص أمام التفسير الذي هو حوار تفاعلي بين القارئ والنص، أو بين الأسئلة التي يثيرها القارئ والأجوبة التي يقدمها النص، وفي ضوء هذه العلاقة التفاعلية يصبح القارئ مسؤولاً عن النص.

غير أن إطلاق حرية القارئ إلى درجة إعادة كتابة النص أو كتابته مجدداً قد يعني فوضى القراءة أو النقد، وهذا الأمر جعل أقطاب هذه النظرية يضعون مجموعة من الضوابط التي تحد من الحرية الفوضوية للمتلقي.

نستنتج مما سبق أن أصحاب هذه النظرية يرون أن إنتاج المعنى لا ينصرف إلى الباحث وحده (أي كاتب النص) ولا إلى النص وحده ولا إلى القارئ وحده، وإنما هو نتاج تفاعل بين العناصر الثلاثة.

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم المعنى نقول، يظل المعنى ظاهرة مجردة صعبة المنال ومتشعبة الجوانب تتدخل في تكوينها مختلف المستويات اللغوية من صوت ونحو وتركيب ومدلول، ولا يمكن للمتخرج الاختصار على زاوية دون أخرى.

المعنى وترجمة النص

إذا كانت الترجمة ضرورية للتواصل بين مختلف اللغات والثقافات والشعوب، فإنها تحمل من الصعوبات والعوائق ما يجعل تحقق الفعل الترجمي الدقيق أمراً صعب المنال. لأن الترجمة ليست مجرد نقل تراكيب وكلمات من لغة إلى أخرى، بل هي أيضاً إدراك للعلاقة الموجودة بين

التراكيب والكلمات وحضارة اللغة وثقافتها.

• إشكالية ترجمة المعنى الحرفي: لقد طرحت مسألة الأمانة للنص المصّدر، اختلافاً في وجهات النظر بين المشتغلين بنظرية الترجمة. وقد بقي هذا المفهوم غير واضح المعالم، ففي نظر بعضهم تكون الترجمة أمينة للنص عندما يحترم المترجم المحتوى العام للنص المصّدر، على حين يرى آخرون أن الأمانة تعني الترجمة الحرفية. وهذا يضعنا أمام نوعين من الترجمة *Traduction littérale* والترجمة الحرة *Traduction libre*.

ويرفض "Etienne Dolet" أن يكون "المترجم عبداً وفيّاً للنص المصّدر، إذ ينبغي له أن يتجنب كل حرفية".⁹ أما "جورج مونان" فقد صنف الترجمة في نموذجين سمي الأول الزجاج الشفاف *Les verres transparents* والثاني الزجاج الملون *Les verres colorés*، وتعطي الطريقة الأولى انطباعاً بأن النص المترجم قد كتب بلغة المترجم، وتعمل الطريقة الثانية على ترجمة النص كلمة كلمة، لتجعل القارئ يحس أنه يقرأ النص في شكله الأصلي.¹⁰

وأثناء مباشرة عملية الترجمة هناك من يعطي الأولوية للنص *Texte d'arrivée* الهدف من حيث لغته وعصره، وهناك من يهتم بالنص المصّدر *Texte de départ* لأن الترجمة هي عملية إبداعية بين لغتين، تستلزم بشكل أو بآخر إعطاء الأولوية إما للغة المصّدر أو للغة الهدف. ويسعى المترجم من وراء كل ترجمة إلى تحقيق ثلاث عمليات وهي:

- فهم النص الذي هو في قيد الترجمة *La compréhension*.

- التجريد اللغوي *La deverbalisation*.

- إعادة التعبير *La réexpression*.

• إشكالية الترجمة بالمعنى المجازي: إن الدلالات المصاحبة تمثل جزءاً من لغة كل أمة، ونقلها عن طريق الترجمة يستدعي تأنيباً وتركيزاً بالغين، ولذلك وجب على المترجم أن يعيرها اهتماماً كبيراً، لأنها تختلف من قارئ إلى آخر، بل إن القارئ الواحد في أوقات متعاقبة وأمكنة متباينة

⁹ ينظر: مصطفى المويقن، مفهوم الأمانة في الترجمة، مجلة فكر ونقد، عدد 10، ص 120.

¹⁰ نفسه، ص 121.

قد يدرك هذه الدلالات بطرق مختلفة، كل ذلك بحسب تجربته وثقافته وحالته النفسية. فالاختلاف في الفهم لدى المترجمين يجعل الواحد منهم يحمل التركيب على المعنى الحقيقي والآخر يحمله على المعنى المجازي.

إن تعذر ترجمة المعاني المصاحبة قد يؤدي بالمترجم إلى الإنقاص من المعنى المترجم أو الإضافة إليه، والسبب في ذلك يعود إلى أن "خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تتطابق نظيرتها من لغة إلى أخرى".¹¹

إن عدم التطابق بين اللغات هو العائق الذي يواجه المترجم حين يقدم على عملية الترجمة، وهذا العائق قد يدفع إلى القول باستحالة الترجمة أو القول بعدم إمكان تحقق الترجمة، إلا أن الفعل الترجمي يعد فعلاً حضارياً، يجد تبريراً له في القرية الكونية التي ألغت الحدود والفواصل بين الثقافات والأمم.

ويمكن القول إن من الصعوبة بمكان أن نقول في النص المترجم ما قاله صاحب النص الأصلي. إن هذه الصعوبات تجعلنا نبحث عما وراء الكلمات والألفاظ من مدلولات ومعانٍ بُغية الوفاء للنص المترجم. وتصبح هذه العملية أشد تعقيداً عندما يتعلق الأمر بترجمة الآثار الأدبية. وعلى الرغم من هذه الصعوبات يمكن للترجمة أن تجري ولو جانببت حقيقة نقل المعنى من النص الأصلي إلى النص الهدف نقلاً دقيقاً، لأننا إذا أخذنا برأي القائلين باستحالة الترجمة فإننا نحرم أنفسنا من قراءة روائع الأعمال الأدبية العالمية.

• إجراءات تحقيق الترجمة المجازية: وتتحقق هذه الإجراءات بالطرق الآتية:

- الترجمة بالتحوير Transposition: وفي هذه الحالة يجري تعويض قسم من أقسام الكلام في اللغة الأصلية بقسم آخر من اللغة الهدف.
- الترجمة بالتكيف Modulation: هذا النوع من الترجمة يختلف عن النوع الأول في أنه يقوم على إحداث تغيرات في البلاغ نفسه، وذلك كأن نقول "عقدين" بدلاً من "عشرين سنة".

¹¹ محمد عجيبة، الترجمة ونظرياتها، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ص 269.

- الترجمة بالمعادل Equivalence: وهو نوع من الترجمة ينقل فيه البلاغ برمته. مثل ترجمة العبارة الفرنسية "Rentrer bredouille" بما يعادلها في اللغة العربية من حيث المعنى "رجع بخفي حنين".

- الترجمة بالافتباس Adaptation: وتقع هذه العملية بين الترجمة والإبداع، لأنها تقوم على تشابه جُملي بين موقفين، قد لا يكون أحدهما موجوداً في لغة من اللغات التي هي موضوع الترجمة.

النص وسير عملية الترجمة

إن النص هو نسق من المفردات ضمن قوانين معينة وضوابط متعارفة، ويؤدي معنى معيناً. وإذا كان النص هو مادة عمل الترجمة، فإن الربط بين هذا النسق من الكلمات وبين عملية النقل الممثلة في عملية الترجمة كفيل بأن يطرح من الإشكالات ما يجعلنا نبحت دوماً على ما يوافق المعنى ويخدم روح النص المترجم، لأن المترجم ملزم بالتقيد بضوابط النص لنقل مضمونه إلى القارئ، وهذا لا يمنع من تعدد الترجمات للنص الواحد بتعدد المترجمين. ذلك لأن النص المترجم ليس هو المصدر الوحيد في تحقيق عملية الترجمة، بل هناك عوامل أخرى تتدخل بصورة مباشرة في تحديد ماهية النص المترجم، منها الخلفية الفلسفية والثقافية للمترجم، والهدف الذي ترمي إليه الترجمة، والمستوى الاجتماعي الحضاري "السوسيولوجي" للمتلقي.

نماذج تطبيقية

نحاول في هذا الجانب عرض ترجمتين لنصين كتباً باللغة الفرنسية، وقد ترجمهما إلى العربية أحدهم، لنبين من خلالهما الأخطاء التي وقع فيها المترجم، ثم ننهي هذا الجانب من الدراسة باقتراح ترجمة بديلة لا ندعي أنها كاملة، ولكن كل ما في الأمر هو أننا حاولنا فيها - بقدر الإمكان - تجاوز تلك الأخطاء.

النموذج الأول

النص باللغة الفرنسية

L'analyse structurale en linguistique et en anthropologie

« Dans l'ensemble des sciences sociales auquel elle appartient indiscutablement, la linguistique occupe cependant une place exceptionnel : elle n'est pas une science sociale comme les autres, mais celle qui, de loin, a accompli les plus grands progrès; la seule, sans doute, qui puisse revendiquer le nom de science et qui soit parvenue, à la fois, à formuler une méthode positive et à connaître la nature des faits soumis à son analyse: le linguiste verra souvent des chercheurs relevant de disciplines voisines, mais différentes, s'inspirer de son exemple et tenter de suivre sa voie. Noblesse oblige: une linguistique comme Word ne peut se limiter à l'illustration de thèses et de point de vue strictement linguistique. Elle se doit aussi d'accueillir les psychologues, sociologues et ethnographes anxieux d'apprendre de la linguistique moderne la route qui mène à la connaissance positive des faits sociaux ».¹²

ترجمة المترجم

التحليل البنائي في اللسانيات وفي الإناسة

لا جدال في أن اللسانيات تنتمي إلى العلوم الاجتماعية، غير أنها تحتل من بين هذه العلوم موقعاً استثنائياً: فهي ليست علم مجتمعياً كسائر العلوم الأخرى، بل هي العلم الذي حقق أكبر الإنجازات وسبق غيره بأشواط بعيدة، وربما كانت تنفرد أيضاً بحق المطالبة بأن يطلق عليها اسم علم وأن تكون قد توصلت، في الوقت نفسه، إلى بلورة منهج وضعي وإلى معرفة طبيعة الشؤون التي تخضع لتحليلها. لكن هذا الوضع المميز يستتبع بعض القيود: إذ كثيراً ما يرى الباحث الألسني أن هناك باحثين في فروع المعرفة القريبة من فرعهِ وإنما المختلفة عنه، يستلهمون وضعه ويسعون إلى النسج على منواله "Noblesse oblige" وهكذا لم يكن يسع مجلة ألسنية مثل مجلة "Word" أن تقتصر على نشر أطروحات ووجهات نظر ألسنية محضة، بل وجدت من واجبها أن تستقبل الباحثين النفسانيين والاجتماعيين والناشوتيين المتطلعين إلى أن يعرفوا من اللسانيات الحديثة إلى السبيل المؤدي إلى معرفة الشؤون الاجتماعية معرفة وضعية

¹² Claude Lévis Strauss, Anthropologie structurale, Plan, Paris, p 37.

نقد الترجمة: نلاحظ في البداية أن المترجم قد ترجم كلمة "structurale" بمصطلح "بنائي" المشتق من لفظة "بنية" في اللغة العربية والتي هي صفة للاسم "structure". غير أن الترجمة المتداولة لمصطلح "structurale" هي بنيوي، وعلى هذا الأساس شاع استعمال البنيوية للدلالة على المذهب والمنهج معاً.

ويستوقفنا أيضاً مصطلح "Linguistique" الذي جاء في العنوان بصيغة الإفراد، وفي الترجمة بصيغة الجمع "اللغويات" مع أن أغلبية المترجمين العرب ترجموا هذا المصطلح بالأسنية أو اللسانية.¹³

نلاحظ أيضاً أن المترجم لم يتقيد بالنص الأصلي وتركيباته اللغوية، فقد أهمل ترجمة الجملة الأولى بكمالها. واستعمل في مكان آخر تركيباً ليس له ما يقابله في النص الأصلي وهو قوله: "وسبق غيره بأشواط بعيدة" وقد يكون ظرف المكان "de loin" الوارد في الجملة الفرنسية « mais celle qui, de loin, a accompli les plus grands progrès » هو الذي أوحى للمترجم باستعمال عبارة "وسبق غيره بأشواط بعيدة" استعمالاً اضطرارياً.

كما ترجم كلمة "des faits" الواردة في الجملة الفرنسية "à formuler une méthode positive et à connaître la nature des faits soumis à son analyse" بكلمة الشؤون، في حين إذا تصفحنا قاموس المنهل الوسيط فإننا نجد أن سهيل إدريس قد ترجم هذه الكلمة بـ "العمل، الفعل، الصنيع، الحدث، الحادث، الواقعة".¹⁴ وبذلك تكون كلمة "الوقائع" أقرب للفظ "des faits".

كما أغفل ترجمة المثل الفرنسي "Noblesse oblige" الذي ورد في النص وتركه في لغته الأصلية، في حين بإمكانه أن يترجم بعبارة "النبالة تقتضي".

¹³ ينظر سهيل إدريس، المنهل الوسيط، فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت لبنان، ط/ 20، 1998، ص 726، وبركة بسام، معجم اللسانية، فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ص 580.

¹⁴ سهيل إدريس، المنهل الوسيط، ص 515.

وترجم كلمة "Anxieux" بالمتطلعين، وإذا ما عدنا إلى القواميس فإننا نعثر على المقابلات الآتية:

قلق، اضطراب، مهموم، متلهف، حصر، وعليه فإن كلمة "Anxieux" في النص الفرنسي تترجم بكلمة "المتلهفين" بدل "المتطلعين".

وترجم أيضاً عبارة "Science sociale" بالمجتمعية للدلالة على العلوم الاجتماعية، ولكن أغلبية المترجمين اعتمدوا الترجمة "Science sociale" لِعِلْم الاجتماع.

على العموم كان بإمكان المترجم الابتعاد عن هذه الهفوات لو استعمل الترجمة السياقية بدل الترجمة الحرفية. وفيما يلي نحاول استثمار تلك التصحيحات لنصل إلى العلاقة الجديدة بين النص الأصلي والنص الهدف فنقتراح الترجمة الآتية:

"لا شك أن اللسانيات تنتمي إلى العلوم الاجتماعية، غير أنها تحتل من بين هذه العلوم موقعاً استثنائياً: فهي ليست علماً اجتماعياً كسائر العلوم الأخرى، بل هي العلم الذي حقق أكبر الإنجازات، والأجدر على الإطلاق بحق المطالبة بصفة العلمية، وقد توصلت في الوقت نفسه إلى بلورة منهج وضعي، وإلى معرفة الوقائع التي تخضع لتحليلها: سيرى اللساني مراراً باحثين منتمين إلى مجالات قريبة من مجاله، لكنها مختلفة عنه يستلهمون نموذج، ويحاولون السير على نهجه. النبالة تقتضي ذلك: وهكذا لم تقتصر مجلة "ورد" اللسانية على نشر أطروحات ووجهات نظر لسانية بحتة، فتعين عليها أيضاً احتضان علماء النفس والاجتماع والإثنوغرافيين المتلهفين إلى التعرف من اللسانيات الحديثة على الوجهة التي تقود إلى المعرفة الوضعية للوقائع الاجتماعية".

النموذج الثاني

النص باللغة الفرنسية

« Ce que l'on appelle généralement; « système de parenté » recouvre, en effet, deux ordres très différents de réalités. il y'a d'abord des termes, par les-quels s'expriment les différents types de relations familiales. Mais la parenté ne s'exprime pas seulement dans une nomenclature: les individus, ou les classes d'individus qui utilisent les termes, se sentent (ou ne sentent pas, selon les cas) tenus les uns par rapport aux autres à une conduite déterminée: respect ou familiarité, droit ou devoir, affection ou hostilité. Ainsi, à côté de ce que nous proposons de nommer le système des appellations (et qui constitue, à proprement parler, un système de vocabulaire), il y'a un autre système de nature également psychologique et sociale, que nous désignerons comme système des attitudes, or il est vrai (comme on l'a montré plus haut) que l'étude des systèmes d'appellations nous place dans une situation analogue à celle ou nous sommes en présence des systèmes phonologiques, mais inverse, cette situation se trouve, pour ainsi dire, « redressé » quand il s'agit des systèmes d'attitudes ».¹⁵

ترجمة المترجم

"إن ما يسمى، بوجه عام، "سستم القرابة" يشتمل على نصابين من أنصبة الواقع مختلفين كل الاختلاف. فهناك أولاً مفردات يعبر بواسطتها عن مختلف أنماط العلاقات العائلية. لكن القرابة لا تجد التعبير عنها من خلال تثب المفردات وحده، فالأفراد أو طبقات الأفراد، الذين يستعملون هذه المفردات يشعرون (أو لا يشعرون، حسب الحالة الواحدة) بأنهم ملزمون حيال بعضهم بعضاً بإتباع سلوك محدد: احترام أو ألفة، حق أو واجب، مودة أو عدا، وهكذا نجد إلى جانب ما يمكن تسميته سستم التسميات (والذي يشكل، بالمعنى الفعلي، سستم القانون اللفظي) سستاما آخر من طبيعة نفسانية ومجتمعية أيضاً، يمكن أن نسميه سستم المواقف. بيد أنه إذا صح (كما بينا أعلاه) أن دراسة سساتيم التسميات تضعنا في وضع شبيه بالوضع الذي نحن فيه حيال السساتيم الصوتية، لكنه عكسي، فإن هذا الوضع، يصبح، إذا جاز القول، "جالساً" عندما يتعلق الأمر بسساتيم المواقف".¹⁶

¹⁵ Claude Lévis Strauss , op. cit p 45.

¹⁶ حسن قببسي، ص 50.

نقد الترجمة: نلاحظ في البداية أن المترجم قد أورد كلمة "سستام" معربة كما وردت في النص الفرنسي، و إذا عدنا إلى المعجم "المنهل الوسيط" فإننا نلاحظ أن سهيل إدريس قد ترجم كلمة "Système" بالنظام والنسق / المذهب / النظرية / المنهج / المجموعة / المنظومة / النمط / الطراز / الأسلوب.¹⁷ أما بالنسبة للمعاجم المتخصصة في مجال البحث اللغوي فقد اعتمدت المقابل "نظام" ترجمةً للفظ "Système".¹⁸ وترجم كلمة "Redressé" بلفظة "جالساً" أما صاحب المنهل الوسيط فقد ترجم كلمة "Redressé" بقوم، عدل، أنهض، أصلح، صحح. ولا ريب أن الجلوس غير التقويم والتعديل والإصلاح والتصحيح والاستدراك الذي تحيل إليه كلمة "Redressé" مما يجعلنا نتساءل عن سبب اختيار لفظة "جالس" مقابل لـ "Redressé" بالرغم من عدم اتفاقهما من حيث الدلالة المعجمية.

وبعد هذه الملاحظات النقدية التي سجلناها على هامش قراءتنا لترجمة المترجم فإننا نقترح الترجمة الآتية:

"إن ما يسمى عموماً "نظام قرابة" يغطي في الحقيقة نظامين مختلفين كل الاختلاف. فهناك أولاً مصطلحات تتجلى من خلالها مختلف أنماط العلاقات العائلية. غير أن القرابة لا تمثل من خلال قائمة تبث المفردات فحسب: فالأفراد، أو طبقات الأفراد الذين يستعملون هذه المصطلحات يشعرون (أو لا يشعرون حسب الحالة) بأنهم ملزمون بسلوك محدد حيال بعضهم البعض: احترام أو ألفة، حق أو واجب، مودة أو عدا. وهكذا نجد إلى جانب ما يمكن أن نقترح تسميته بنظام التسميات (الذي يشكل حقاً نظام المفردات) نظاماً آخر ذا طبيعة نفسانية أو اجتماعية، يمكن أن نسميه نظام المواقف، بيد أنه إذا صح (كما بينا أعلاه) أن دراسة أنظمة التسميات تجعلنا في وضعية شبيهة بالوضع الذي نحن فيه حيال الأنظمة الفونولوجية "الصوتية". ويصبح هذا الوضع إن صح التعبير معدلاً عندما يتعلق الأمر بأنظمة المواقف".

¹⁷ المعجم الوسيط، ص 1170.

¹⁸ ينظر بن مالك رشيد، ص 221.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

خلاصة القول أن الترجمة ليست عملاً هيناً يقبل عليه من استغلت آفاق تفكيره، وضعفت ملكاته الإبداعية، ويشترط فيها أن تكون طبيعية بحيث لا يشعر المتلقي بأنه أمام نص مترجم، وهي "أصعب من التأليف، لأن المؤلف طليق بين معانيه، والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها، مضطر إلى إبرادها كما هي وعلى علاتها.

المراجع

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
2. بركة بسام، معجم اللسانية، فرنسي عربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1980.
3. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
4. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، 2000.
5. سهيل إدريس، المنهل الوسيط، فرنسي عربي، دارا لآداب، بيروت لبنان، ط/ 20، 1998.
6. فرديناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة محمد الشاوش وصالح القرمادي ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب.
7. محمد عجينة، الترجمة ونظرياتها، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1989.
8. مصطفى المويقن، مفهوم الأمانة في الترجمة، مجلة فكر ونقد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، عدد 10، 2003.
9. منقور عبد الجليل، مقاربة سيميائية لنص شعري، مقال في السيمياء والنص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الأول، منشورات جامعة محمد خضير بسكرة. العدد 7، 8 نوفمبر 2000.
10. Claude Lévis Strauss, Anthropologie structurale, Plan, Paris 1971.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

بحوث التنمية الثقافية

التحريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

ثقافة التنمية الإنسانية

أ.د. سمير إبراهيم حسن

أستاذ علم اجتماع المعرفة

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق

قد يبدو العنوان غريباً، فقد تعودنا بهذا الصدد على حرف العطف "الثقافة والتنمية" لدرس العلاقة بين الثقافة والتنمية، وإدراج تصوراتنا ونصائحن الأكاديمية العتيدة في هذا الشأن، ونحن ندعي هنا أن تقارير التنمية الإنسانية العربية الأربعة:

"خلق الفرص للأجيال القادمة، 2002" و"تحو إقامة مجتمع المعرفة 2003" و"تحو الحرية في المجتمع العربي 2004" و"تحو نهوض المرأة في الوطن العربي 2005". قد باشرت، منذ التقرير الأول، تكوين ثقافة من نوع مميز من المفاهيم والقيم، يمكن أن نعزوها إلى تلك التقارير باعتبارها مرجعيتها، أو هي تكوّن نوعاً من الإطار أو النموذج الإرشادي الجديد Paradigm لتوجهات ومضامين مختلفة عن الثقافة في فكرنا العربي الراهن، على الأقل في فكر المتقنين. فما هذه الثقافة التي ندعي أن تقارير التنمية الإنسانية العربية تكونها في فكرنا في المجتمع العربي اليوم؟

إنها تلك التأثيرات القيميّة والأخلاقية والسياسية التي أثارها تقارير التنمية الإنسانية العربية منذ صدور أول تقرير. فقد نجحت تلك التقارير، وذلك ادعاء آخر من قبلنا، برغم كل ما يمكن أن يكون لنا أو لغيرنا عليها من اعتراضات وانتقادات، أقول نجحت في إثارة قضايا الديمقراطية والمرأة والتمكين والمعرفة والحرية والحكم الصالح والمشاركة... لدى جميع الاتجاهات على تبايناتها، حيث بدأت مختلف الاتجاهات الثقافية والسياسية تفكر وتعيد النظر وتتداول الأفكار في الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات العامة، وحريات المرأة وحقوق الطفل، وتحسين شروط

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

الحياة السياسية الداخلية، وعقدت الندوات والمؤتمرات وورشات العمل حول كل تقرير وحول كل محور من محاور التقارير، بل كانت هذه التقارير، أو أحدها، حاضرة في أي ندوة أو مؤتمر ثقافي أو تنموي أو سياسي عربي أقيم بعدها، وأخذ الخطاب العربي الجديد من مختلف التيارات الفكرية المتصارعة (الإسلامية السلفية واليسارية والقومية والقطرية... الخ) يتبارى ويتسابق في استعمال المفردات والمصطلحات والعبارات والافتباسات والإحصاءات والجدول والتحليلات الواردة في التقارير الأربعة، وأصبحت هذه التقارير مرجعاً أساسياً في دراسة حال المجتمع والإنسان العربي اليوم، وتشكلت بعض المواقف شبه الرسمية ((الحكومية)) التي أعلنت استيائها، وأخرى أعلنت تنبها لبعض القضايا وشروعها في معالجتها، وظل الجدل الثقافي العربي حول تلك التقارير متردداً حول القبول بمشروعيتها وصدقيتها، بل بقي نفر من المثقفين العرب ممن لم يستطيعوا تجاوز عقدة "المؤامرة" يشكون في وطنية هذه التقارير وأهدافها، معتبرين أن أي نقد حضاري للذات هو في خدمة الآخر!¹، حتى وصل الأمر بالولايات المتحدة إلى الضغط ومحاولة إعاقة صدور التقرير الثالث 2004 الذي تأخر صدوره خمسة أشهر، وكذلك فعلت مع التقرير الرابع 2005.

لقد أخذ كل ذلك يشكل قوة ضغط على الحكومات العربية لمزيد من الإصلاحات المؤسساتية والديمقراطية والسياسية. إن إعلان صنعاء ووثيقة الإسكندرية ومؤتمرات الحوار في السعودية وقطر وغيرها من حوارات ومناقشات في أوساط السياسيين والنخب العربية، كلها دلائل على أن تقارير التنمية الإنسانية ساهمت في قوة الدفع باتجاه الإصلاح بفضل البدء في انتقاد الذات وتشخيص النواقص وطرح التوصيات الكفيلة بالتحرك نحو الإصلاح. وربما كان ذلك بداية المخاض الإصلاحية في المجتمعات العربية.

ألا يدل ذلك على فعالية تلك التقارير حين تتخلق بفعلها المواقف والمعارف والأفكار والقيم

¹ محمد سليمان، تقرير التنمية الإنسانية. وثيقة تاريخية في إدانة السياسة العربية،

www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=6536

والمفاهيم الجديدة في حياتنا الراهنة؟

لقد باتت مفردات: المعرفة والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والحكم الصالح والمؤسساتية، مع اقتصاد المعرفة وإنتاج المعرفة ومجتمع المعرفة وحق المعرفة وحقوق الملكية الفكرية، والمشاركة الاجتماعية والسياسية، والعمل الأهلي، وحقوق المواطنة، الشفافية والمساءلة، واسعة الانتشار بين المثقفين، وليس مثقفاً بالمعنى الخاص اليوم من يجهل تقارير التنمية الإنسانية وبعض مفرداتها المذكورة. هذه المفردات أضحت اليوم هي مفردات وعناصر ثقافة التنمية المعاصرة التي تحاول تقارير التنمية الإنسانية ترسيخها. لذلك ربما من الحق أن ننسب لتلك التقارير ثقافتها الخاصة بها.

قد يقول قائل مطلع إن ما أشارت إليه هذه التقارير معروف لدينا. إن مفهوم التنمية الإنسانية نفسه موجود منذ تقرير التنمية البشرية عام 1990، حيث نقرأ: "التنمية الإنسانية تعبر عن معادلة يتكون طرفها الأيمن من القدرات الإنسانية، على حين يتكون طرفها الأيسر من الفرص الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الممكنة للإنسان من أعمال قدراته الإنسانية"².

نعم، ل شك أن معظم هذه المفردات والأفكار والمفاهيم موجودة وحاضرة منذ مدة في أفكار وأطروحات وبحوث عديد من المثقفين والمفكرين العرب، وباستطاعتنا الإشارة إليها عند هذا المفكر أو ذاك، ولكن كان ذلك على نحوٍ مشتت وموزع وغير متكامل. أما منذ صدور أول تقرير فلربما أصبحنا أمام صورة مركزة focus، أمام منهج متكامل في النظر إلى الواقع العربي، يمكننا، إذا شئنا، أن نجتري على أساسه مشروعاً ثقافياً تنموياً عربياً جماعياً متكاملاً يمكن العمل عليه.

هناك اتجاه منهجي واضح في تقارير التنمية الإنسانية العربية الصادرة حتى اليوم يقوم بربط بعضها ببعض، ويجعل اللاحق يكمل السابق بطريقة التعمق في القضايا التي يطرحها. هكذا نجد التقرير الأول 2002 يتعرض لأهم التحديات والعوائق التنموية التي تواجهها البلدان العربية (نقص

² تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، ص 13.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

الحرية وتأخر المعرفة ونقص التعليم وانخفاض مستوى تمكين المرأة ومستوى بناء القدرات الإنسانية)، والتقارير الثلاثة اللاحقة تتابع التعمق في هذه التحديات وتحليلها. فیتعمق التقرير الثاني 2003 في مسألة المعرفة والتنمية الإنسانية ومجتمع المعرفة والطلب على المعرفة والتعليم وجودة التعليم والإعلام وتقنيات الاتصال. ويناقش التقرير الثالث 2004 قضايا التحرر والحرية والحكم الصالح وحقوق الإنسان والبنية السياسية والديمقراطية، والسلطة، والجوانب القانونية والمؤسسية للإصلاح السياسي. أما التقرير الرابع 2005 فإنه يناقش مشكلات المرأة وحریتها وتمكينها، وعلاقة ذلك بالنهضة العربية، وتعذر هذه التنمية دون تمتع المرأة بحقوقها الإنسانية؛ ويضع التقرير الرابع المرأة في صلب عملية التنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، ويمضي إلى ما هو أبعد من الإلحاح على أن نصف السكان يستحقون نصف المشاركة.³

يمكن بسهولة، من اهتمام تقارير التنمية الإنسانية العربية، استنتاج أن فلسفة التنمية في التقارير الأربعة تهدف إلى تنمية ذاتية الإنسان العربي وروحه وقيمه وتمكينه وتوسيع آفاقه، بالمقارنة بالتنمية الملموسة في البلدان العربية التي ترى في الإنسان مجرد ترس أو مسنن في آلة تعظيم الإنتاج والربح والدخل القومي، ولذلك نرى التقارير تصل إلى أننا في البلدان العربية لم نرتق لا بهذا ولا بذاك. وهكذا نقرأ في تقرير 2003:

"ينطوي ترك منظومة اكتساب المعرفة لحافز الربح، على خطر قلة إنتاج المعرفة، وحرمان الأضعف اجتماعياً من امتلاكها"⁴

³ تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2005 من المقدمة.

⁴ تقرير التنمية الإنسانية لعام 2003، ص 39.

الثقافة في تقارير التنمية الإنسانية العربية

تأسس المجتمعات العربية على مبادئ احترام حرية الإنسان وحقوقه وقيام الحكم الصالح وتمكين المرأة العربية وتحرير طاقاتها، والعدالة الاجتماعية وإقامة مجتمع المعرفة، وتوظيف المعرفة لخدمة الإنسان والتقدم الاجتماعي، تلك هي منظومة القيم التي نجد أن تقارير التنمية الإنسانية تدعو إليها.

في تقرير 2002 نقراً: "لتعزيز التنمية الإنسانية لا بد من إيلاء اهتمام خاص لعدد من القيم التي تدفع بالتنمية إلى الأمام، مثل التسامح واحترام الثقافات المختلفة. ومراعاة حقوق واحتياجات المرأة والشباب والأطفال، وحماية البيئة ودعم شبكات الأمان الاجتماعي لحماية الضعفاء، وعدم التساهل مع البطالة المفرطة، وتعزيز المعرفة والتعليم، ومفاهيم أخرى تؤدي إلى الكرامة والرفاهية الإنسانية"⁵.

نجد هنا مصفوفة من القيم المتعلقة بتنمية ذات وجه إنساني، يمكن تطويرها وإدراجها في مشروع ثقافي يمكن العمل عليه وعليها إجرائياً، ويمكننا بكل مشروعية معيارية وعلمية تسميتها "ثقافة التنمية الإنسانية". نسبة إلى تقارير التنمية الإنسانية من جهة، ولأن لها وجهاً إنسانياً واضحاً من جهة أخرى.

إن المنظومة الثقافية المكونة من الدين والآداب والفنون والفلسفة والعلوم الإنسانية التي تكون رؤية العالم في حضارة من الحضارات أو ثقافة من الثقافات، هي البيئة الروحية للتطورات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية المادية. هي الإطار وهي الحاضن الثقافي الضروري الذي لا يمكن أن يحصل تقدم حقيقي لا علمي ولا تكنولوجي إبداعي بدونه. فالثقافة تتعهد بناء الإنسان وروحه وهويته ونمط تفكيره، وتكون استعداداته للتفتح العقلي والإبداع. إن التنمية تتأثر بمنظومة الحوافز التي توفرها البيئة الثقافية، وهذه المنظومة ليست إلا مجموعة القيم التي يحتضنها

⁵ تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، ص 8.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

المجتمع، وفي وصف تقارير التنمية الإنسانية العربية لحال العرب، نجد أنها تسعى إلى بناء منظومة القيم التي تحفز التنمية، وإلى حفز رؤية تنمية استراتيجية لدى النخب العربية، وتتوخى تعميق الحوار حول سبل تحقيق التقدم لهذا الوطن الكبير، بحوار ونقد صريح وورصين ومتوازن للذات، وإعادة تشكيل المنظومة الثقافية، بل إعادة صياغة الهوية العربية بقيم التقدم المعاصرة.

في هذا الصدد نقرأ في تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002: "الثقافة والقيم هما روح التنمية، توفران زخماً لها وتيسران الوسائل اللازمة لتعزيزها، وتحددان تصور الناس لأغراضها وغاياتها. إضافة إلى ذلك فإنهما تساعدان على تشكيل آمال الناس ومخاوفهم وطموحاتهم ومواقفهم وأفعالهم اليومية، وتشكلان مثل الناس وتلهمان أحلامهم في حياة فاضلة لهم ولأجيالهم القادمة"⁶.

إن التاريخ يؤكد لنا أن كل حضارة من الحضارات السالفة وكل نهضة، قد جرى تدعيمها وتعزيزها وتحفيزها في المجال الثقافي، في الحكمة والفلسفة والآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

كانت الآداب والفنون والفلسفة والعلوم الاجتماعية والإنسانية هي النواة الأولى للنهضة في العصر الحديث. فلقد ابتدأت النهضة الأوروبية منذ بدايات القرن الثاني عشر بإحياء الآداب الكلاسيكية اليونانية والرومانية، واقتضت الثورة الصناعية ثلاثة قرون على الأقل من التهيئة في مجالات الفلسفة العقلانية والتنويرية قبل أن تقوم. "ولم تكن أوروبا مثلاً لتقدر على الاستفادة من المعارف العلمية، في بداية الثورة الصناعية، لو لم تعمم التربية العلمية، من جهة، ولو لم تنتشر الثقافة العلمية بطرق عديدة من جهة أخرى"⁷.

وفي الحديث عن النهضة العربية والحضارة العربية في العصور الوسطى، نقرأ في تقرير 2003: "الذي أسهم في النهضة العلمية، هو نهضة أخرى سبقتها في العلوم الاجتماعية

⁶ المصدر السابق، ص 8.

⁷ تقرير التنمية الإنسانية للعام 2003، ص 69.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

والإنسانية، أي علم الكلام وعلم اللغة والتاريخ والفقه والتفسير وغيرها. فقد أثارت هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية العديد من المسائل التي تطلب حلها الأخذ بالعلوم الأخرى من رياضية وغيرها وتطويرها، أو ابتكار علوم جديدة...⁸. ويرى المؤرخون أن ثراء الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى يعود إلى قدرتها الفائقة على استيعاب الثقافات المختلفة الهندية والفارسية واليونانية والرومانية واستدراجها في توليفة ثقافية عربية أرقى.

حقاً، هل كان يمكن تصور النهضة ومنجزات الأزمنة الحديثة دون ببيكون وهوبز ولوك ومنتسكيو وروسو وديكارت وكانط وسبينوزا وفولتير وبيرو وجماعة الموسوعة وماركس وكونت ودوركايم وفيرير؟ وهل يمكن تصور القرن العشرين السابق، بكل عظمة إنجازاته التكنولوجية والعلمية، دون كلود ليفي شتراوس وبارسونز وميرتون ومانهايم وماركوز وسارتر وهبرماس وفوكو ودريدا، وكلهم من الفلاسفة والأدباء وعلماء الاجتماع وليس من العلماء بالمعنى المادي؟

أما تاريخنا العربي الحديث والمعاصر فليس من الصعب الاقتناع بأنه من المتعذر الحديث عنه دون الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وقاسم أمين وعلي عبد الرازق وحسن البنا وطه حسين وخالد محمد خالد ومحمد النويهجي ونجيب محفوظ وأدونيس وسهيل إدريس وزكي نجيب محمود وفؤاد زكريا وصادق العظم وحسين مروة ومهدي عامل وسمير أمين وطبيب تيزيني والجابري والعروي (بَقْطَعُ النظر عن اتفاقاتهم أو اختلافاتهم أوتفاقنا واختلافنا معهم). وهل كان يمكن تصور ثقافتنا العربية اليوم بدون مجلات الهلال والكاتب والآداب والطليعة والمعرفة وعالم الفكر والنهج والناقد والمستقبل العربي...؟

إذا استبعدنا كل هؤلاء من التاريخ الحديث والمعاصر والراهن فما الذي يبقى فيه غير السعي المحموم وراء المال والاستعمالات الرديئة للاكتشافات العلمية والتقنية (التكنولوجية) وزعماء الحرب والنزعة العسكرية الكريهة.

⁸ المصدر السابق، ص 43.

من هنا نرى أنه دون الإطار الثقافي القيمي التنويري والعقلاني الذي يطوره وينشره الأدباء والفنانون والفلاسفة وعلماء الاجتماع لا تقوم نهضة. وبهذا الصدد لا بد من التمييز بين عرض المعلومات ونشرها وتوفيرها في عصر الثورة المعلوماتية وثورة وسائل الاعلام والاتصال، وبين المعرفة التي هي ناتج القدرة على تحليل المعلومات وإنتاج الجديد منها وتولييفها إبداعياً وتوظيفها اجتماعياً، والحذر من الانبهار بوفرة المعلومات باعتبارها وفرة في المعرفة، فالمعلومات الوافرة اليوم ما هي إلا إمكان معرفة فحسب، والعقل النقدي التحليلي هو الذي يحولها إلى معرفة بالفعل.

في هذا المنظور يقول إدوارد سعيد: "لا نريد المعرفة منتجاً أو سلعة، ولا نريدها عملية إصلاح في مكتبات أكبر أو عدد أكبر من الحواسيب فقط، المعرفة التي نريد تختلف نوعياً، وتقوم على الفهم عوضاً عن السلطة والتكرار غير الناقد أو الإنتاج الآلي.

ليست المعرفة مجرد الحقائق، ولكن كيف ترتبط الحقائق بحقائق أخرى، كيف تتكون الحقائق في الأساس، هل ترتبط بافتراضات أو نظريات؟ وكيف يمكن للمرء أن يحكم على العلاقة بين الحقيقة والمصالح، وكيف يمكن فهم الواقع والتاريخ؟ هذه هي بعض القضايا التي تواجهنا والتي يمكن إيجازها في العبارة - السؤال: كيف نفكر"⁹.

هنا يكون دور التنوير والعقل والثقافة العقلانية، ونقد الذات على أسس موضوعية وعلمية، حاسماً وأساسياً في بناء "مجتمعات المعرفة"، وذلك ما تتعهد الآداب والفنون وعلوم الإنسان والثقافة. "بحيث يتأسس فيها ((في مجتمعات المعرفة)) ما يمكن أن يسمى [ثقافة المعرفة] شاملة قيم الحفز إلى اكتساب المعرفة وتوظيفها وسبلاً فعالة لإثابة نشر المعرفة وإنتاجها"¹⁰.

"إن المجتمع الذي لا يكافئ، بشكل واحد، اكتساب المعرفة وتوظيفها، من خلال التعليم والتعلم والبحث والتطوير التقني وجميع صنوف التعبير الأدبي والفني، إنما يحكم على نفسه

⁹ إدوارد سعيد، في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، الاطار 1-1 ص 35.

¹⁰ تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، ص 40.

بتردّي المعرفة¹¹.

ذلك ما ينبه عليه تقرير 2003، وإننا لنلاحظ بالفعل أن الاهتمام الرسمي بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وعلوم الثقافة عامة، ضئيل، وتكاد هذه العلوم تعتبر من الدرجة الثانية والثالثة ويخضع البحث فيها لرقابة صارمة وقيود كثيرة. مع أن هذه العلوم هي التي تحتضن أي تقدم وتطور ممكن.

ويتسم الإنتاج في هذا المجال بغزارة في المجال الديني وشح نسبي في الأدب والفن والعلوم الاجتماعية¹².

وكما يشير التقرير الثاني "من المؤكد وجود نقص بيّن في ترجمة كتب أساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم أخرى، مع توفر عناوين ليست مهمة ولا يؤسس عليها علم نافع"¹³. وذلك لا يهيئ مناخاً ثقافياً مناسباً للتقدم العلمي.

التقرير الرابع 2005 الذي يتناول نهوض المرأة العربية، الذي لن تتحقق نهضة شاملة دونه، يركز أيضاً على الجانب الثقافي لتحرر المرأة وترسيخ حقوقها الإنسانية، فلا بد من "تنقية التركيبات الثقافية من بذور التمييز المضاد للمرأة" ب:

1. حفز الاجتهاد الفقهي للتغلب على المعوقات الثقافية لنهوض المرأة، وتشجيعه. حيث تظل العقبة الجوهرية أمام نهوض المرأة - كما يرى التقرير - هي أسلوب معالجة بعض أوجه التعارض بين المعايير الدولية والمعتقدات الدينية - الثقافية، أو ما يطلق عليه بعضهم "تعارض المرجعيات"... ولا بد من أعمال التوجه الرامي إلى إعمال الاجتهاد الفقهي لإقامة الاتساق بين المعايير الدولية والمبادئ الدينية - الثقافية.

¹¹ المصدر السابق، ص38.

¹² المصدر السابق، ص 77.

¹³ نفس المصدر، ص67.

2. التصدي لنمطية صورة النساء لإشاعة ثقافة مساواتية بواسطة التنشئة والتربية والإعلام¹⁴.

إشكالية الحال العربية

لقد بات من الصعب الاستمرار بتجاهل الحقائق التي أظهرتها بوضوح تقارير التنمية الإنسانية العربية. والتعاس عن إجراء التغيير الجاد على وجه السرعة، أمر خطير على المستقبل في المجتمعات العربية، وعلى الأنظمة الحاكمة نفسها فيها. فالتغيير هو ضرورة تفرضها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتردية في المجتمعات العربية، والشعوب أصبحت أرقى في وعيها الاجتماعي والسياسي، والوقت قصير، والقرار المؤجل اليوم قد لا يغدو صالحاً في الغد.

إن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والمشاركة وحقوق المرأة والحكم الصالح والعدالة الاجتماعية والمساواة أمام القانون، وحق المواطنة وحرية الرأي وجميع النواقص التي أشارت إليها تقارير التنمية الإنسانية العربية، وضرورة تجاوزها، باتت قيماً ومتطلبات عالمية لا يمكن بعد تجاهلها، ولا بد من تمثلها اجتماعياً وسياسياً لمواكبة العصر والتجاوب مع منظومة القيم الديمقراطية والحقوقية الإنسانية المعاصرة التي تحقق التقدم.

نعم، ولكن التبصر في تقارير التنمية الإنسانية العربية يكشف إشكالية معقدة في حال البلدان العربية، فالأنظمة الحاكمة هي المسؤولة عن النواقص التي تشير إليها هذه التقارير، والشعوب متضررة ولكنها عاجزة عن القيام بدور الإصلاح، لأنها غير مشاركة وتفتقر إلى القنوات الديمقراطية المؤسسية، والثقة شبه معدومة بينها وبين الأنظمة، ولا توجد انتخابات حرة نزيهة تفتح المجال أمام قيادات تستمد قوتها وشرعيتها من الشعب، وتكون قادرة على الفعل الاقتصادي والسياسي. فما الحل؟

ربما بسبب إشكالية السلطة والناس، فإن التقرير الثالث 2004 لا يتحدث عن حلول بل يقدم

¹⁴ التقرير الرابع 2005، ص 208-209.

سيناريوهات للمستقبل في "العالم العربي":

- السيناريو الأول يتمثل في بقاء الأمور على ما هي عليه على وضعها الحالي، وهذا ما وصفه التقرير بسيناريو الكارثة الآتية أو الخراب الآتي.
- السيناريو الثاني هو الشروع في عملية تفاوض سلمي حول إعادة توزيع السلطة.
- السيناريو الثالث هو وسط بين هذين السيناريوهين يتمثل في تحول تدريجي إصلاحي¹⁵.

وبرغم وضوح ما تقدمه الدراسات والتقارير من تحليلات علمية نظرية حاسمة، فإنني في الحقيقة لست أدري تماماً أين المخرج عملياً، ولكنني موقن أن الناس قد بدؤوا بالخروج إلى الشمس والتماس دفئها.

ربما لذلك وجوباً عن سؤال عمن يتوجه إليه التقرير، وضح "نادر فرجاني" المؤلف الرئيسي في التقرير لقناة الجزيرة أن التقرير، مع أنه لا يستبعد الحكومات أو أنظمة الحكم العربية، فإنه في الواقع يتوجّه في المقام الأول للشعب العربي بكل فئاته وطوائفه وجماعاته. في نفس السبيل، يشير أحد المحللين العرب لأحد هذه التقارير إلى قول "محمد جابر الأنصاري"، في سياق آخر، بأنه لو كان حاكماً عربياً لوزع ملايين النسخ من مقدمة ابن خلدون على الناس، ويضيف هذا القارئ المحلل بقوله: "أما أنا فأدعو إلى توزيع ملايين النسخ من ملخص هذا التقرير على الأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي، وأن تدرس في المعاهد والمدارس والمراكز والمصانع والشركة والمعمل والوزارة والجامعة... الخ. هذا التقرير شهادة حية من المثقف العربي على واقعه، واستعادة لقيمة الحرية ولحقوق الإنسان وكرامته في مدافعة الواقع العربي، إنه دعوى ودليل إدانة يستطيع أن يرفعها الإنسان العربي على الحاكم وعلى التسلط والظلم والفساد، وهو وثيقة هامة وتاريخية وشهادة للإنسان العربي في حقه - بل واجبه - في التغيير، وشهادة أيضاً من الإنسان العربي للمثقف بأنه بدأ يستعيد وجوده العضوي ودوره النضالي ويساهم بحق في

¹⁵ تقرير التنمية الإنسانية لعام 2004، ص 156-157.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

معركة التحرر والحرية والإصلاح المنشود¹⁶.

¹⁶ محمد سليمان، تقرير التنمية الإنسانية.. وثيقة تاريخية في إدانة السياسة العربية، مجلة العصر، 4/10 /
www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=6536 .2005

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

أعلام خدموا العربية

التحريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

من رجالات لغة الضاد أحمد مستجير مصطفى (1934 – 2006)

أ.د. أبو بكر خالد سعد الله
قسم الرياضيات/المدرسة العليا للأساتذة
القيّة - الجزائر

هناك في الوطن العربي أعلام خدموا اللغة العربية العلمية خدمة جليلة دون أن ينالوا ما يستحقونه من اهتمام وعناية. ومن بين هؤلاء نجد المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى، عضو مجمع اللغة العربية المصري، الذي وافته المنية في صائفة العام 2006. ويعتبر الدكتور مستجير، الذي لم يتوقف عن الكتابة والنشر حتى سنة رحيله، أحد أعمدة اللغة العربية العلمية في الوطن العربي. فمن حق هذا العالم الأديب أن نتذكره وأن نعرف جمهور القراء به وبأعماله.

من هو مستجير؟

ولد أحمد مستجير مصطفى في شهر ديسمبر من عام 1934 بقرية الصلاحات التابعة لمحافظة الدقهلية بشمال مصر، وتخصص في الزراعة (علم الوراثة) وكتب الشعر والنثر حتى وصف بـ "الأديب المتنكر في صورة العالم". وقد وصف نفسه بهذه العبارات اللطيفة: " أنا في الحق موزع بين شاطئين كلاهما خصب وثرى، أجلس على شاطئ، وأستعذب التأمل في الآخر.. وأعرف أن الفن أنا، والعلم نحن، ذبت في الـ نحن وأحن إلى الأناء، وأعرف أن الفن هو القلق وأن

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

العلم هو الطمأنينة؛ فأنا مطمئن أرنو إلى القلق¹. ويعتبر مستجير نفسه "ابن الأرض الريفية" حيث قال: "أنحاز إلى الأرض الريفية لأنني ابنها، وربما كان تفوقي في كلية الفلاحين² بسبب عشقي للزراعة والخيال واللون الأخضر، والريف هو عشقي الأبدي ومنبع الرومانسية المتأججة بداخلي".

وقد تأثر مستجير بوالده الذي كان مدرسا للغة العربية ومواظبا على المطالعة وصديقا للأديب كامل الكيلاني الذي كان يزوده بالكتب المختلفة، مثل مؤلفات مصطفى صادق الرافعي، ولطفي المنفلوطي، وجرجي زيدان. وفي المرحلة الثانوية اهتم مستجير بكتب العلوم الطبيعية لأنه كان متأثرا بأستاذ لهذه المادة، وهو ما جعله يميل إلى الالتحاق بكلية الزراعة. وفي هذه الكلية أعجب الطالب بأستاذه عبد الحليم الطوبجي، مدرّس علم الوراثة، فمال إلى التخصص نفسه في دراسته العليا. وهكذا حصل على إجازة (بكالوريوس) في الزراعة من جامعة القاهرة عام 1954، ثم التحق بالمركز القومي للبحوث المصري عام 1955 من أجل إعداد شهادة الماجستير في تربية الدواجن من كلية الزراعة (جامعة القاهرة) فحازها سنة 1958، وعمل معيدا في الكلية نفسها.

ويذكر أن مستجير تعرّف في تلك المدة، من خلال مطالعته، بأستاذ بريطاني في علم الوراثة، فراسله طالبا منه مساعدته للالتحاق بمعهد الوراثة بجامعة أدنبرة (العاصمة الأسكتلندية). وكذلك كان الحال، فسافر مستجير إلى اسكتلندا وواصل دراسته هناك، ونال دبلوم الوراثة من جامعة أدنبرة عام 1961، ثم شهادة الدكتوراه في الوراثة من الجامعة نفسها عام 1963. عاد مستجير إلى مصر وعمل سنة 1964 مدرسا بكلية الزراعة في جامعة القاهرة، وأصبح بعدها أستاذا مساعدا عام 1971، إلى أن رقي لدرجة أستاذ سنة 1974. وكان قد شغل منصب عميد كلية الزراعة خلال المدة 1986-1995، ثم صار أستاذا متفرغا حتى وفاته، عام 2006.

¹ انظر أحمد عبد السلام : مستجير.. أديب يتكرر في صورة عالم، صادر يوم 9 يناير 2003 في الموقع <http://www.islamonline.net/Arabic/famous/2003/01/article02b.shtml>

² يقصد بذلك كلية الزراعة.

ومن المعلوم أن مستجير كان عضواً في العديد من الهيئات العلمية، منها: عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والجمعية المصرية لعلوم الإنتاج الحيواني، والجمعية المصرية للعلوم الوراثية، واتحاد الكتاب، والمجلس الأعلى للثقافة المصري، والمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي، ولجنة المعجم العربي الزراعي. كما فاز بالعديد من الجوائز، منها: جائزة الدولة التشجيعية للعلوم والزراعة (1974)، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (1974)، وجائزة أفضل كتاب علمي مترجم (1993)، وجائزة الإبداع العلمي (1995)، وجائزة أفضل كتاب علمي (1996)، وجائزة الدولة التقديرية لعلوم الزراعة (1996)، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (1996)، وجائزة أفضل كتاب علمي لعام (1999)، وجائزة أفضل عمل ثقافي (2000)، وجائزة مبارك في العلوم والتكنولوجيا المتقدمة (2001)، وجائزة أفضل كتاب (2003).

أحمد مستجير ... المدافع عن تعريب تدريس العلوم

كان مستجير في جامعة القاهرة أستاذاً متواضعاً ذا مكانة عالية يستمع إلى مخاطبه أكثر مما يتكلم. وقد تخرجت عليه أجيال متلاحقة من العلماء والباحثين، وكان مفكراً أسهم بالقلم والكلمة في مختلف القضايا المصرية المثارة على ساحة الفكر ووسائل الإعلام المختلفة. كما تناول الشعر والأدب والترجمة وأثرى المكتبة العربية بالعديد من الكتب المؤلفة والمترجمة قارب عددها ستين كتاباً في علم الوراثة والأدب والشعر.

ويدافع أحمد مستجير عن تعريب العلوم والتدريس بلغة الضاد حيث يشير، فيما يشير، إلى أن تعريب العلوم الطبية أمر طبيعي وبيهي، لأن كل أمة يجب أن تدرس بلغتها كما هو الحال في كثير من الدول الآسيوية والأوروبية. يقول مستجير بهذا الصدد: "هناك فجوة بين توصيات وقرارات المؤتمرات، وما صارت إليه الحال في معظم الكليات العربية التي يجري فيها التدريس بلغات أجنبية. فثمة تراجع ملغز، حيث كنا في الماضي غير البعيد ندرس الفسيولوجية وعلم الوراثة ومعظم العلوم باللغة العربية في كليات الزراعة والطب والصيدلة وغيرها". ويضيف أنه شرع في تدريس علم الوراثة باللغة العربية دون مشاكل متعلقة بالمصطلحات في كلية الزراعة

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

بجامعة القاهرة خلال ثلاثينيات القرن الماضي، ولم تمثل اللغة أي عائق. ثم يشرح: "... وعندما سافرنا وقتها في بعثات إلى أوروبا وأمريكا لم نصب بدهشة، لأن الدراسة بالعربية كان يوازينا استيعاب واف وتتبع دقيق للمصطلحات الإنكليزية، وهذا ما نطالب به الآن".

ويمضي مستجير في تشريح الوضع ببلده مصر، وهو تشريح يصدق على كثير من البلدان العربية الأخرى، فيعلن أن الأساتذة هم الذين يجدون لأنفسهم استثناءات للتدريس بالإنكليزية ... "فهم أكبر عائق يقف أمام مسيرة التعريب، وأضخم عقبة أمام قبول الطلاب للدراسة بالعربية، حيث يميلون إلى النقل والاستسهال عوضاً عن أن يكون لهم دور ضخم في الترجمة والتعريب ونحت المصطلحات بالعربية، وملاحقة كل ما هو جديد، والتعاون الخلاق بعضهم مع بعض، ومع المجامع اللغوية، ودور النشر التي تصدر المعاجم العلمية العربية".

ومن جهة أخرى، نجد الدكتور مستجير مستاء من علاقتنا بالثورة العلمية الحديثة لأن العلم يتطور تطوراً كبيراً "ونحن نلوك ونكرر ما قلناه". ويقول إن "الثورة العلمية الآن هي ثورة الإلكترونيات والجيئات، ونحن مازلنا بعيدين عن هذا المجال، وقليل من العرب من يهتم بهذا الموضوع". والحل في نظر مستجير يكمن في "تغيير المجتمع" لنعرف كيف نفكر علمياً في مشاكلنا. لهذا نحن بحاجة إلى "جيل جديد من الباحثين". ويمكن تكوين هذا الجيل في نظره بإرسال آلاف الباحثين إلى الخارج ليتعلموا الجديد في العلوم الحديثة، ويحدث التغيير في المجتمع عند رجوع عدد كبير منهم إلى أوطانهم. ويلاحظ مستجير أن "القيم التي تنقلها وسائل الإعلام تزيد من جهل الناس وتعمق الخرافة والدجل" ويستغرب في من يتصور أن "الثقافة هي الأدب والفنون فقط" دون الثقافة العلمية.

ولذلك كان مستجير حريصاً على نشر الثقافة العلمية في المجتمع العربي بالعمل المترجم والمؤلف. فكان لكتابه "صناعة الحياة" مثلاً صدى كبير حيث كتب عنه الأديب يوسف إدريس مقالاً في صحيفة الأهرام. ويروي مستجير أن مجلة الهلال العريقة جذبته ليكتب فيها عن العلم وثقافته، فنشر فيها عشرات المقالات العلمية. كما نشر في مجلات أخرى، مثل مجلة سطور،

ومجلة وجهات نظر، ومجلة "العربي" الكويتية. وكان مستجير غالبا ما يجمع تلك المقالات وينشرها في سلسلة من كتب صغيرة الحجم بأثمان في متناول الجميع تصدرها دار المعارف.

أحمد مستجير ... يبتكر من أجل المعوزين

تأثر مستجير أيما تأثر بما يحدث من مجاعات عبر العالم خلال حياته، وكان يردّد دوماً: "في عالمنا الآن أطفال يولدون للشقاء، لليلٍ طويل بلا نهاية! في جعبة العلم الكثير الكثير، في جعبته طعام وبسمة لكل فم". وكان له اعتقاد راسخ بأن العلم قادر على توفير الغذاء لهؤلاء المساكين بتطوير الزراعة، واكتشاف أنواع جديدة من المحاصيل والإنتاج الحيواني. وقد أدى ذلك بمستجير إلى تأسيس مركز علوم الوراثة بمصر وأصبح رائد علم الهندسة الوراثية في مصر والعالم العربي.

ويرى مستجير أن البيوتكنولوجيا تستطيع تأدية دور رائد في القضاء على الفقر، فهي تتضمن زراعة الأنسجة ودمج الخلايا والهندسة الوراثية. ومن المعلوم أن استعمالها يسمح بإنتاج نبات يقاوم الأمراض والملوحة أو يتميز بمحصول وفير. ولما كان معظم سكان المعمورة يعتمدون في غذائهم على القمح والأرز فقد شرع مستجير في استخراج سلالات من القمح والأرز، تتحمل الملوحة والجفاف. يقول مستجير: "إننا نعتمد حالياً التقانات (التكنولوجيات) التي تصلح لحل مشاكلنا الخاصة ببلادنا، فلو عرفنا الاستغلال الأمثل لمياه البحر في الري، لتمكّنّا من إنتاج أصناف من المحاصيل الزراعية التي تتحمل الملوحة والجفاف".

وتبرز أهمية هذه التجربة بعد قيام شركات غربية بإنتاج بذور عقيمة صالحة للإنتاج، ولكن لا تصلح للاستنبات مرة أخرى، وهو ما يحرم الفلاح من حقه الأزلي في الاحتفاظ بكمية من البذور لزراعتها في الموسم القادم، ويجعل بعض الشركات تتحكم في المستقبل الغذائي للبشرية. وقد أطلق مستجير على هذه البذور "بذور الشيطان" محذراً من خطرها على الزراعة والاقتصاد في الوطن العربي.

ويستنكر مستجير ما تفعله تلك الدوائر بدعم من منظمة التجارة العالمية، فسمى ما تفعله بـ"القرصنة الوراثية"، ويقول: "تأخذ الشركات سلالات نباتاتنا التي طورها فلاحونا بجهد آلاف السنين، لتضيف إليها جيناً أو بضع جينات، وتحصل على براءة قانونية من الجهة الرسمية من بلادها، لتصبح السلالات وجينوماتها بكمالها ملكاً خاصاً لها، تحميها قوانين منظمة التجارة العالمية". وفي الوقت ذاته يحتاج أصحابها الحقيقيون إلى إذن خاص ورسوم لزراعتها. وهكذا لا تعود السلالات سلالاتهم، لأنها طُعمت بجينات من الخارج باستعمال تقنيات غريبة لا يملكون هم سبيلاً للوصول إليها. لقد "سلبت الشركات حق الفلاح الأزلي في الاحتفاظ ببذره وسلبته دوره التاريخي مريباً للنبات"

ويستخلص مستجير أن: "... الإنجاز العلمي العبقري الذي حققته شركة دلتا (في مصر) ينهي الحق الطبيعي الذي منحه الله للإنسان في كل مكان: أن يزرع لإطعام نفسه والآخرين ... إنها القرصنة البيولوجية... كان الاستعمار القديم يستولي على الأرض، أما الاستعمار الجديد، فيستولي على الحياة نفسها"³.

أحمد مستجير ... المترجم الكبير

يرى أحمد مستجير الترجمة أنها فن وإبداع قبل كل شيء. ودليل ذلك أنك قد تقرأ كتاباً مترجماً ثم تعرف مباشرة من ترجمه. لهذا السبب لا يحب مستجير مراجعة ترجمة لكتاب، فهل تستطيع أن تراجع قصة لكاظم، أو قصيدة لشاعر؟ ويفسر مستجير القول إن "المترجم خائن" بأنه يعني أن "المترجم مبدع". وقد وجد مستجير في الترجمة متعة كبيرة وعلل ذلك بالقول: "تتعلم منها العلم واللغة، ثم تقيد أهلك وعشيرتك".

وتعاني الترجمة - حسب مستجير - مما نجده في كل فن من فنون التقدم. ذلك أن العدد المترجم من الكتب العلمية قليل. ويوضح مستجير أن الأزمة الحادة تكمن في اختيار الكتب

³ انظر كتاب : أحمد مستجير : القرصنة الوراثية، سلسلة اقرأ، دار المعارف، مصر، 1999.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

العلمية التي تستحق أن تترجم. والمطلوب حالياً هو الكتب التي تخاطب القارئ العام لا المتخصص: الكتب التي تعالج القضايا الاجتماعية التي ظهرت مع التقدم العلمي الرهيب الواقع في الغرب. فليس المطلوب حالياً ترجمة الكتب المتخصصة لأن أولي الشأن يستطيعون قراءتها في لغاتها الأصلية.

ومن ثمّ فمهمتنا الأولى هي رفع المستوى الثقافي العلمي وسط الجماهير، لا سيما بين الشباب، "حتى يفدّروا العلم ويشجعوه ويدفعوا الدولة إلى أن تعطي العلم حق قدره." ويوضح مستجير أن الأمية العلمية المنتشرة في مجتمعنا تحتاج إلى من يعالجها. والعلاج الأول والأبسط هو "ترجمة الكتب العلمية التي تفتح آفاق التفكير". ومستجير لا يعني هنا تبسيط العلم لأنه يراه من مهام المؤسسات التعليمية، بل يقصد الكتب الثقافة العلمية "المستترة"، مع الملاحظة أن "لدينا من العلماء ومن كبار المثقفين من يستطيع أن ينقله إلى العربية باللغة العربية الصحيحة".⁴

أحمد مستجير والشعر

أما في مجال الشعر فكان الشاعر صلاح عبد الصبور قد استمع لأول قصيدة نظمها مستجير بعنوان "غدا نلتقي"، وعند قراءة آخر المقطع:

أخي انظر لهذي السماء طويلاً

وكيف تزغرد فيها الطيور

لهذي الشجيرات حين تميل

وهذي الزوارق حين تسير

وهذي المياه!

فأصل المياه بكاء المحبين منذ القدم.

قال عبد الصبور: "كاتب هذه القصيدة شاعر"، وهو اعتراف جعل مستجير يواصل نظم

⁴ حوار أجراه إبراهيم سعد الدين في العدد 1 من مجلة وانا (الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب).

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

الشعر ويصدر ديوانين هما: عزف ناي قديم، وهل ترجع أسراب البط؟. ثم إن مستجير برز في جانب آخر يتعلق بالشعر حيث اهتم بقواعد العروض ووضع فيها نظرية رياضية لدراسة عروض الشعر العربي وإيقاعاته الموسيقية، صدرت في كتابه "مدخل رياضي إلى عروض الشعر العربي". وقد نشأت فكرة تأليف هذا الكتاب عندما بدأ مستجير يتعامل مع الحاسوب فرغب في إيجاد نظام رياضي لبحور الشعر يستطيع أن يتعامل به الحاسوب. ثم اكتشف أن هذه الطريقة تزيل الكثير من مشاكل علم العروض. ويعترف مستجير بأنه لا يحب الشعر المنثور حيث قال ذات مرة: "الشعر المنثور، أنا لا أعترف به، وهذا رأيي... فأنا لا أقرؤه. حاولت كثيرا ولكني لم أفجح فأنا لا أستطيع أن أقرأه". إليك هذه الأبيات من شعره بعنوان "هل ترجع أسراب البط؟"، وهي مستقاة من القصيدة التي اتخذ مستجير عنوانها عنوانا لديوانه الثاني:

أهْجُرْ، لكن لا تُسْرِفْ في الهَجْرِ
اغضِبْ يوماً، لا طولَ العمرِ
اقطفْ بعضاً، لا كُلَّ الزهرِ
ومُرِ الرافدَ أن يهدأ، لا قلبَ النهرِ
واترك لي في الظلِّمة بعضَ شموعك...

كي يطلع منها الفجرُ!
هل تورقُ يا حبي أشجارُ القحطِ؟
هل ينبئُ في الليل الدامس غيرُ بذورِ السُخْطِ؟
هل يُزهَرُ في الصحراء... سوى الصبارِ وأشجارِ السَّنْطِ؟
إن جفَّ الماءُ، وجفَّتْ أعشابُ الشطِّ
هل ترجعُ أسرابُ البطِ؟ !!

كان أحمد مستجير قبيل وفاته مقيماً بالنمسا، وكان يجلس في صانقة 2006 أمام التلفاز ويتابع أخبار العدوان الإسرائيلي على لبنان، بما فيه من صور مفزعة ودمار هائل فتفجرت

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

شرايين مخه، ولم يلبث أن فارق الحياة بعد بضعة أيام. كان ذلك يوم الأربعاء 16 أغسطس 2006، رحم الله فقيد لغة الضاد.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

المراجع

1. حلمى، وفاء: حوار مع العلامة المصري فى الهندسة الوراثية، جريدة العربي، عدد 1005، 16 أبريل 2006.
2. سعد الدين، إبراهيم: الدكتور أحمد مستجير... نصف قرن من العلم والإبداع والتتوير، حوار، العدد 1، مجلة واتا (الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب)، 2005.
3. عامر، منير: أحمد مستجير ... منارة مصرية، جريدة الأهرام، 14 أغسطس 2006.
4. عبد السلام، أحمد: مستجير .. أديب يتنكر فى صورة عالم، صادر يوم 9 يناير 2003 فى الموقع <http://www.islamonline.net/Arabic/famous/2003/01/article02b.shtml>
5. مستجير، أحمد: القرصنة الوراثية، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 2000.
6. منتصر، خالد: د. أحمد مستجير... عالم إحترف الدهشة، إيلاف، 17 أغسطس 2006. مؤلفات أحمد مستجير ألف أحمد مستجير 18 كتاباً وترجم 41 كتاباً، وهي:

الكتب المؤلفة

أولاً: كتب مؤلفة في علم الوراثة :

1. مقدمة في علم تربية الحيوان، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966.
2. دراسة في الانتخاب الوراثي في ماشية اللبن، دار المعارف، 1969.
3. التحسين الوراثي لحيوانات المزرعة، مكتبة غريب، 1980.
4. النواحي التطبيقية في تحسين الحيوان والدواجن، مكتبة غريب، 1986.

ثانياً: كتب مؤلفة في الأدب والثقافة العلمية :

1. في بحور الشعر، الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربي، مكتبة غريب، 1980.
2. عزف ناي قديم (ديوان شعر)، مكتبة غريب، 1980.
3. مدخل رياضي إلى عروض الشعر العربي، المكتب الدولي، 1987.
4. هل ترجع أسراب البط (ديوان شعر)، مكتبة نهضة الشرق، 1989.
5. أحاديث الاثنين، مطبعة جامعة القاهرة، 1990.
6. في بحور العلم، الجزء الأول، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 1996.
7. في بحور العلم، الجزء الثاني، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 1996.
8. دفاع عن العلم، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 1997.
9. البيوتكنولوجيا في الطب والزراعة، المكتبة الأكاديمية، 1998.
10. قراءة في كتابنا الوراثي، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 1999.
11. القرصنة الوراثية، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 2000.
12. علم اسمه السعادة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 2002.
13. الثورة البيولوجية، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 2004.
14. علم اسمه الضحك، دار المعارف، سلسلة اقرأ، 2005.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

الكتب المترجمة

أولاً: كتابان مترجمان في الأدب

1. ثلاثة رجال في قارب، روايات الهلال، 1988.
J. K. Jerome: Three men in a boat.
2. أفكار تافهة لرجل كسول، مكتبة مصر، 1992، 2000.
J.K. Jerome: Idle thoughts of an idle fellow.

ثانياً: كتب مترجمة في العلوم والفلسفة (العناوين بالعربية متبوعة بأسماء المؤلفين والعناوين الأصلية)

1. قصة الكم المثيرة، الهيئة العامة للكتاب، 1969.
B. Hoffman :The strange story of the quantum.
2. المشاكل الفلسفية للعلوم النووية، الهيئة العامة للكتاب، 1971 .
W. Heisenberg: Philosophic problems in nuclear sciences.
3. اللولب المزدوج، (بالاشتراك مع د. محمود مستجير)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972، 2003، 2004.
J.D. Watson: The double helix.
4. الربيع الصامت، دار النشر لجامعة القاهرة، 1974، 1990.
R. Carson: Silent Spring.
5. صراع العلم والمجتمع، مطبعة العلوم، 1974.
C.D. Darlington: The conflict of science and society.
6. صناعة الحياة، مكتبة غريب، 1985.
E. Yoxen: The gene business, Who should control biotechnology ?
7. التطور الحضاري للإنسان، الهيئة العامة للكتاب، 1987، 1999.
J. Bronowski: The ascent of man.
8. طبيعة الحياة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988، 1999.
F. Crick: Life itself – Its origin & nature.
9. البذور الكونية، الهيئة العامة للكتاب، 1989، 2000.
F. Hoyle & C. Wickramasinghe: Evolution from space.
10. هندسة الحياة، الهيئة العامة للكتاب، 1990.
S. Yanchinski: Setting genes to work – The industrial era of biotechnology.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

11. الهندسة الوراثية للجميع، الهيئة العامة للكتاب، 1990، 1996، 1997، 2000.
- W. Bains: Genetic engineering for almost everybody.
12. ثقب الأوزون، دار النشر لجامعة القاهرة، 1991.
- J. Gribbin: The hole in the sky – Man's threat to the ozone layer.
13. البيئة وقضاياها، دار النشر لجامعة القاهرة، 1991.
- D.F. Owen: What is ecology ?
14. الانقراض الكبير، الهيئة العامة للكتاب، 1993.
- M. Allby and J. Lovelock: The great extinction – What killed the dinosaurs & devastated the earth ?
15. ظاهرة الصوبة، الهيئة العامة للكتاب، 1992.
- J. Gribbin: Hothouse earth – The greenhouse effect & Gaia.
16. الفيزياء والفلسفة – المكتبة الأكاديمية، 1993.
- W. Heisenberg: Physics and Philosophy.
17. التاريخ العاصف لعلم وراثية الإنسان، المكتبة الأكاديمية، 1993.
- D.J. Kevles: In the name of eugenics, Genetics and the uses of human heredity.
18. عقل جديد لعالم جديد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1994، 2000.
- R. Ornstein & P. Ehrlich: New world new mind.
19. الهندسة الوراثية وأمراض الإنسان، دار النشر لجامعة القاهرة، 1994.
- P. Frossard: The Lottery of Life: The new genetics and the future of mankind.
20. لغة الجينات، المكتبة الأكاديمية، 1995.
- Steve Jones: The language of the genes – Biology, history & the evolutionary future.
21. بحثاً عن عالم أفضل، الهيئة العامة للكتاب، 1996، 1999.
- Karl Popper: In search of a better world , Lectures & essays from thirty years.
22. الشفرة الوراثية للإنسان، عالم المعرفة، الكويت، 1997، 2002.
- D. Kevles & L. Hood (Ed.): The code of codes.
23. عصر الجينات والإلكترونيات، كتاب "سطور"، 1998، 2002.
- W.T. Anderson: Evolution is'nt what it used to be.
24. ثورة في الطب، الهيئة العامة للكتاب، 1998.
- K.S.McCully: The homocysteine revolution ،Medicine in the new millennium.
25. الوراثة والهندسة الوراثية بالكاريكاتير، الهيئة العامة للكتاب، 1998.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جمادى الآخرة / حزيران 2008

- L. Gonick & M. Wheelis: The cartoon guide to genetics.
26. الطريق إلى دوللي، الهيئة العامة للكتاب، 1999.
- G. Kolata: Clone - The road to Dolly & the path ahead.
27. من يخاف استنساخ الإنسان، (بالاشتراك مع د. فاطمة نصر)، كتاب سطور، 1999.
- G. E. Pence: Who is afraid of human cloning ?
28. طعامنا المهندَس وراثياً، مكتبة نهضة مصر، 2000.
- S. Nottingham: Eat your genes - How genetically modified food is entering our diet.
29. الجينات والشعوب واللغات، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، 2004.
- Luigi Luca Cavalli – Sforz: Genes , Peoples and Languages.
30. همس من الماضي: تاريخ طبيعي لعلم الوراثة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
- J.Ackerman: Chance in the house of fate.
31. نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية، دار سطور، 2002، 2003.
- F.Fukuyama: Our posthuman future: Consequences of the biotechnology revolution.
32. نبش الماضي: علم الآثار القديمة والبحث عن الدنا القديم، دار العين، 2003، 2004.
- M. Jones: The molecule hunt: Archaeology & the search for ancient DNA.
33. حلم الجينوم وأوهام أخرى (بالاشتراك مع د. فاطمة نصر)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003.
- R. Lewontin: It isn't necessarily so.
34. كفى، قبل أن يدمرنا جنون العلماء (بالاشتراك مع د. فاطمة نصر)، دار سطور، 2004.
- B. McKibben: Enough: Staying human in an engineered Age.
35. الطبيعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 2004.
- M. Lambert: Nature.
36. الجينومات والصحة في العالم، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، 2004.
- The Advisory Committee on Health Research: Genomics and World Health.
37. معنى هذا كله، دار سطور، 2005.
- R. Feyman: The Meaning of it all.
38. سجن العقل، تأليف ستيفن جونسون، ونشر لدى المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2005.
39. الطريق إلى السوبر مان، تأليف رامز نام، ونُشر في دار كنوز، القاهرة، 2006.

من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2008

التحريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

من أنشطة المركز

خلال النصف الأول من عام 2008

يتابع المركز في النصف الأول من عام 2008، تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة للدورة المالية 2007-2008 على النحو التالي:

أولاً: المشروعات والبرامج:

1. مشروع ترجمة الكتب والمراجع الهامة في مجال التعليم العالي:

أصدر المركز كتاب: المعلومات الطبية عن طريق الإنترنت

ويجري حالياً مراجعة الكتب والمراجع التالية:

أ. الكلمات المسافرة

ب. المدارس الأكثر جودة

ج. أساسيات علم الوبائيات

د. الكيمياء الحيوية المتكاملة

2. دعم الجامعات والهيئات التي تعمل في مجال التعريب

استجاب المركز لطلبات الجامعات والمؤسسات التعليمية في الوطن العربي ضمن مشروع

دعم الجامعات والهيئات التي تعمل في مجال التعريب، ومنها:

• مكتبة الاسكندرية - مصر

3. مجلة المركز:

يجري حالياً تسلم الدراسات الخاصة بالعدد 35 الذي يُتوقع صدوره في نهاية عام 2008.

ثانياً: أنشطة المركز خارج البرامج:

1. شارك مدير المركز في مؤتمر الجودة في التعليم العالي 2008 بجامعة دمشق بتاريخ 23 يناير 2008.
2. شارك مدير المركز في لجنة إعداد الميزانية للمراكز الخارجية في المدة 26-29 / يناير / 2008 الذي عقد في رحاب معهد الدراسات والبحوث العربية – القاهرة.
3. شارك المركز في معرض الشارقة للكتاب، الدورة 27 بتاريخ يناير 2008 في الإمارات العربية المتحدة.
4. جرى توقيع اتفاقية تعاون علمي مشترك مع الهيئة العليا للتعريب في السودان، وجرى البدء بتنفيذها بتاريخ 16 فبراير 2008 .
5. شارك مدير المركز في المؤتمر الأول لكليات الصيدلة السورية في المدة 2-4/4/2008 وألقى فيه محاضرة حول اللغة العربية وتحديات العولمة.
6. شارك مدير المركز في أعمال المجلس التنفيذي في المدة من 28 إلى 2008/5/2 في معرض الألكسو بتونس.
7. تمثيل السيد المدير العام في أعمال المؤتمر السادس لشبكة تعريب العلوم الصحية الذي سيعقد في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق. في الفترة من 8-10 يونيو 2008، وسيتم إلقاء محاضرة تحت عنوان دور المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في رأب الفجوة بين ما هو متوافر عن مراجع في العلوم الصحية وما هو مطلوب.

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 - ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 - أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 - ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستخدام برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة إلكترونية (قرص مكنز CD) أو بواسطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المركز acatap@net.sy، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 - تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 - ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة من سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

6 - تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 - تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص.

8 - تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 - تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

- أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
- أن يصحَّب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسَلَّم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على

النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 - تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 - يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 - تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزيع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 - لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الرابع والثلاثون - جُمادى الآخرة / حزيران 2008

16 - إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 - تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 - ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11 . 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org



إصدارات المركز من الكتب

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولاراً

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولاراً

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولاراً

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولاراً

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولارات

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولاراً

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولاراً

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولاراً

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

10 . الأسس الفيزيائية لليزرات التكنولوجية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولاراً

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التكنولوجية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولاراً

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولاراً

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولاراً

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولارات

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولاراً

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر.ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولاراً

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولاراً

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة – نفذ –

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولاراً

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولاراً

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولاراً

22 . طب الأمراض المعدية والتغذية – نفذ –

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولاراً

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولاراً

24 . الآلات الكهربائية والميكروية – نفذ –

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 - السعر 18 دولاراً

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولارات

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نفذ -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولارات

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول - نفذ -

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولاراً

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني - نفذ -

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولارات

29 . الكيمياء التحليلية - نفذ -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولاراً

30 . الكيمياء الفيزيائية - نفذ -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولاراً

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كاميل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولاراً

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نفذ -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولاراً

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نفذ -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولاراً

34 . الفيزياء المتقدمة - نفذ -

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولاراً

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولاراً

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولارات

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184 - السعر 7 دولارات

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولاراً

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولاراً

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولاراً

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولارات

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولاراً

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولاراً

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولاراً

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

47 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف – ترجمة: د. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 392 – السعر: 12 دولاراً

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر: 6 دولارات

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر: 15 دولاراً

50 - الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد آنسل وآخرون - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 896 - السعر 25 دولاراً

51 - التركيب - دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاويد - ترجمة: د. محمد كامل التيناوي - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 920 - السعر 27 دولاراً

52 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الأول

52 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 364 - السعر 10 دولارات

53 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 424 - السعر 12 دولاراً

54 - منشآت تجميع مياه الأمطار - إرشادات تنفيذية

54 - Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف - ترجمة: أ. نزيه يانس - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 160 - السعر 5 دولارات

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولاراً

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولاراً

57 – مواد البناء واختباراتها – شروح ومسائل وتمارين

57 – Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 272 – السعر 6 دولارات

58 – أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند – ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 432 – السعر 14 دولاراً

59 – جيوتقنية مكبات النفايات ومطامرها

59 – GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية – ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 864 – السعر 25 دولاراً

60 – التنمية الزراعية المستدامة

60 – Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 264 – السعر 7 دولارات

61 – تنظيم الحاسوب وبنائه

61 – Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر – ترجمة: د. محمد نوار العوا ود. جورج صنيح ود. فيصل العباس – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 748 – السعر 21 دولاراً

62 – أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 – Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي – ترجمة: م. محمد موفق العوا – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 344 – السعر 12 دولاراً

63 – التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 – Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري – ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 424 – السعر 14 دولاراً

64 – طب العيون العام

64 – General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان – ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين – تاريخ الإصدار: 2002 –
عدد الصفحات: 696 – السعر 18 دولاراً

65 – اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 – Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 640 – السعر 14 دولاراً

66 – مبادئ تحلية المياه المالحة

66 – Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 232 – السعر 5 دولارات

67 – التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 – High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون – ترجمة: د. راكان رزوق – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 428 –
السعر 9 دولارات

68 – علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2003 –
عدد الصفحات: 1044 – السعر 28 دولاراً

69 – محاضرات في الطب الجزيئي

69 – Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون – ترجمة: أ.د. وفيقة زرزور – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 244 –
السعر 6 دولارات

70 – نظم الطاقات المتجددة – التكنولوجيا – الحسابات

70 – Regenerative Energiesystem

تأليف: فولكار كاشنينغ – ترجمة: د.م. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2004 – عدد الصفحات: 414 – السعر
7 دولارات

71 – الاقتصاد الهندسي

71 – Engineering Economy

تأليف: وليام ج. سوليفان & جيمس ت. لوكسوج ويكس - ترجمة: د. محمد نايفة ود. محمد جلالى و د. لبانة مشوح و د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 744 - السعر 19 دولاراً

72 – التقانات الحيوية من الألف إلى الياء

72 – Biotechnology from A to Z

تأليف: وليامز بنز - ترجمة: أ.د. عبد العزيز محمد البوني - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 544 - السعر 13 دولاراً

73 – تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية

تأليف: د.م. محمد بشار الحفار و د.م. نبيل غازي الهزيم - مراجعة: د.م. رياض الحسين - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 267 - السعر 6 دولارات

74 – الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار

74 - Changing Approaches to Studying Adult Education

تأليف: هوي ب. لونغ وآخرون - ترجمة: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 170 - السعر 5 دولارات.

75 – طب الأسنان الوقائي الأولي

75 – Primary Preventive Dentistry

تأليف: نورمان هاريس وآخرون - ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 653 - السعر 19 دولاراً.

76 – الوجيز في الفيضانات . التأثيرات والحماية

76 - Hochwasser-Handbuch: Auswirkungen und Schutz

تأليف: هاينز بات - ترجمة: أ.د. عز الدين درويش حسن - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 723 - السعر 23 دولاراً.

77 - علم الجنين الطبي لـ لانغمان

77 - Langman's Medical Embryology

تأليف: ت. و. سادلر - ترجمة: أ.د. الطاهر عثمان علي & أ.د. ضياء الدين الجمّاس & د. محمد فريد السباعي
- تاريخ الاصدار: 2005 - عدد الصفحات: 606 - السعر 17 دولاراً.

78 - التصميم الرقمي

78 - Digital Design

تأليف: م. موريس مانو - ترجمة: أ.د. جبر راجح الرمحين - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 552 -
السعر 30 دولاراً.

79 - علم الأدوية السريري

79 - Clinical Pharmacology

تأليف: ب.ن. بينيت - م.ج. براون - ترجمة: أ.د. الأمين إبراهيم النعمة - د. عبد الناصر عمري - د. خالد
حسن - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 880 - السعر 30 دولاراً.

80 - طب النساء بقلم عشرة أساتذة

80 - Gynaecology by 10 Teachers

تحرير: ستيورات كامبل وآش مونغا - ترجمة: أ.د. محمد السنوسي محمد السنوسي - أ.د. صادق فرعون - تاريخ
الاصدار: 2007 - عدد الصفحات: 298 - السعر 18 دولاراً.

81 - طب التوليد بقلم عشرة أساتذة

81 - Obstetrics by 10 Teachers

تحرير: ستيورات كامبل وكريستوف ليز - ترجمة: أ.د. عمر أحمد ميرغني - د. روفائيل عطا الله - تاريخ
الاصدار: 2007 - عدد الصفحات: 401 - السعر 23 دولاراً.

82 - المعلومات الطبية عن الإنترنت

82 - Medical Information on the Internet

تأليف: روبرت كيلي - ترجمة: د. موفق سعيد حطيني - تاريخ الاصدار: 2008 - عدد الصفحات: 223 - السعر
9 دولاراً.

الكتب قيد الإصدار

- 1 – الكلمات المسافرين Les Mots Voyageurs
- 2 – أساسيات علم الوبائيات Basic epidemiology
- 3 – المدارس الأكثر جودة The Best Schools
- 4 – المظاهر التصويرية للداء الغداری Imaging Features of Hydatid Disease
- 5 – الكيمياء الحيوية المتكاملة Integrated Biochemistry

الكتب التربوية

T1 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

T1 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولارات

T2 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

T2 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولاراً

T3 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

T3 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولارات

T4 - تطوير نظم الجودة في التربية

T4 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولاراً

T5 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

T5 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولاراً

T6 – تعليم العلوم لجميع الأطفال

T6 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولاراً

T7 – التصميم المنظم للتعليم

T7 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولاراً

T8 – التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

T8 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولارات

T9 – إدارة نظم التعلم عن بعد

T9 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولارات

T10 – المرجع في جهود محو الأمية

T10 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولارات

T11 – الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

T11 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولارات

T12 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

T12 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولارات

T13 – سيكولوجيا التربية والتكوين

T13 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولاراً

T14 – الدافعية والنجاح المدرسي

T14 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولارات

T15 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

T15 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولاراً

T16 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

T16 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولاراً

T17 – التقويم الصفّي والتعلم

T17 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

T18 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

T18 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 – السعر 8 دولارات

T19 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

T19 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

T20 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

T20 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 – السعر 8 دولارات

T21 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

T21 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 – السعر 5 دولارات

T22 – التعليم التحويلي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

T22 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 400 – السعر 9 دولارات

T23 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

T23 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 720 – السعر 18 دولاراً

T24 – أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

T24 – Devenir Enseignant Du Supérieur

تأليف: آلان كولون وآخرون – ترجمة: أ.د. سام عمار – تاريخ الإصدار: 2006 – عدد الصفحات: 190 –
السعر 6 دولاراً.